بيروت التراث

نسيمة الخطيب



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

بيروت ـ لبنان

ص . ب . ٨٣٧٥

هاتف: ٣٥٣٠٠٠ ـ ٣٥٠٧٢١ ـ ٣٥٠٧٢٢ ـ ٣٤٤٢٣٦ ـ ٣٤٥٤٦٠

تلكس ـ ٢٢٦٦١

فاكس ـ ٠٠٣٥٧٩٥٢٢١٠٧

بناية الوهاد ـ شارع جان دارك ـ بيروت

الطبعة الأولى
١٩٩٣ م

تصميم الغلاف : عباس مكي

الإهداء

إلى بيروت.........

المقدمة

خطت المرأة اللبنانية خطوات مهمة الى الامام، وانطلقت تمارس دورها الفاعل في جميع الحقول وعلى مختلف الصعد، متلمسة واجبها الوطني، ليس في اطار الاسرة فحسب، بل في اطار المجتمع ككل وعبر الوطن كله.

ولم يعد غريباً ، ان نرى نساء ناجحات في مختلف النشاطات السياسية والاجتماعية والثقافية والادارية، فقد كشفت المرأة في بلدنا عن نضج ووعي عميقين تبديا خلال سنوات الحرب، وما تلاها من سنوات السلم الاهلي، حيث دخلت ميدان العمل السياسي واصلة الى الندوة النيابية.

والظاهرة الايجابية اللافتة، أن العديد من السيدات لم يتخلين عن نشاطهن الاجتماعي والثقافي، وظللن يمنحنه حظاً « وافراً »من وقتهن وجهدهن.

وتمثل السيدة نسيمة الخطيب، في هذا الاطار نموذجاً «لافتاً » فهي على تعدد اهتماماتها السياسية والاجتماعية، اولت النشاط الثقافي اهمية طيبة ، وعملت عبر المحاضرات والتآليف الثقافية والتاريخية، على نشر الوعي التاريخي والاثري، جاعلة من بيروت محطة كبرى في رحلتها العلمية.

ويأتي هذا المؤلف الجديد الذي يتناول التاريخ رسماً وموقعاً في مختلف الحقبات التارٌيخية ومع مختلف الدول ومع الدويلات المجاورة والبعيدة، علماً وثقافة وحضارة، ومدارس، ومعاهد قديمة وجامعات ومؤسسة آثار ومعالم جوامع وزوايا ومساجد وكنائس ومطبعة وصحافة، وعلماء وادباء. كل ذلك يأتي ليؤكد هذا المنحى الايجابي الذي نتمنى ان يستمر ويتطور ويضطرد نجاحه في فترة نحن بحاجة لذكرها ولمراجعتها.

إن بيروت التي كان لها دورها في الماضي البعيد والقريب، لا بد ان تنهض من كبوتها، وتنطلق من جديد، ولا شك في أن مثل هذه المؤلفات تدفع نحو عملية الاستنهاض عبر تواصل خلاق بين الماضي والحاضر.

إن هذا البحث في كشفه عن عراقة بيروت واصالتها كمعقل للاديان السماوية بجوامعها وزواياها وكنائسها، يشدنا الى العيش المشترك والحوار الدائم، مما يعزز فكرة الوحدة الوطنية ويساهم في عملية الالتحام والانصهار، من أجل الوطن الواحد.

ويسعدني أن أهنىء السيدة نسيمة الخطيب على هذا الجهد المميز، الذي يتجلى في بحثها هذا، ويعكس المؤهلات العلمية والثقافية والحضارية والوطنية التي تتحلى بها، راجية لها المزيد من العطاء.

د. زاهية قدورة
عميدة كلية الآداب في الجامعة اللبنانية سابقاً
رئيسة اتحاد الجامعيات اللبنانيات

مدخل
التراث والتواصل الحضاري

ها أنذا ـ المدينة التاعسة كومة من خرائب، ابنائي اموات، يا لتعاستي مجسم الجمال اصبح رمادا، هل تأسون لمجد بيروت، هل تبكون علي ايها العابرون الماشون فوق اطلالي، هل تسكبون دمعة حزن، هل تأسون لمجد بيروت؟

هذه الابيات من قصيدة لشاعر اغريقي عاصر الزلزال والحريق الذي شب في مدينة بيروت في العام ٥٦٠ م، فالتهم معاهدها ومساكنها ، مما حرك وجدان الشاعر، فرثى المدينة الجميلة.

بيروت في وجدان التاريخ منذ ان وجدت، وهي على ألسنة الكتاب، وفي فيض احاسيس الشعراء، فلقد نشأت بيروت رمزا للعطاء، وميدانا للفكر والعلوم والمعارف وكلما اصيبت بيروت، تحركت مشاعر محبيها لتعيد اليها الحياة بإطلاق روحها الجياشة وبتحد لم تعرفه مدينة ولا وطن ، فتعود مدينة زاهرة عامرة بتواصل ما بين ماضيها وحاضرها، فينتعش الامل بإطلالتها المستقبلية حصنا للمعرفة وحصنا للتاريخ وحافظة للتراث.

يعتبر الحديث عن التراث لدى البعض ضربا من ضروب الترف الفكري والاجتماعي، ودليلا على ابتعاد اهله عن المعاناة الاجتماعية، وتأكيدا على بلوغ مرتبة من الضمان المستقبلي بحيث لا تعود المشاكل الحياتية تكون عبئا يومياً، فتتسع دائرة الفراغ ليلجأ الناس الى ملئها بالتسلية والإبحار في مخلفات الاجيال.

هكذا يتصور البعض مفاهيم البحث العلمي والجاد في معارج الارتقاء الحضاري والغوص في يم الإرث الانساني بحثاً عن لآلىء مطمورة او مغمورة تصلح اذا ما جمعت كي تشكل عقدا من حلقات التاريخ الانساني والحضاري لأمة من الامم وشعب من الشعوب.

نحن كأمة لها تاريخها الحضاري في شتى ميادين الابداع والعطاء، وشعب كنا وما زلنا نشكل قناة اتصال فاعلة ومنفعلة في عملية التلاقح الحضاري والتمازج الفكري للأمم ، لسنا سعاة بريد لا نفقه ما في الرسائل ولا نعرف محتوياتها، نحن عمال صقل وتشذيب وبلورة للنتاج الحضاري، ابدعناه واخذناه وصبغناه بصبغة جعلت منه انموذجاً عالميا للعملية الابداعية، فإذا بنا حاجة عالمية ما استطاع العالم ولن يستطيع حتى مجرد التفكير في حذفنا من المعادلة او الاستغناء عنا.

وقبل ان نقف امام المحطات التاريخية والتحدث عن المفاصل التمازجية التي كانت ارضنا مسرحا لها، وكان لأمتنا عموما وشعبنا خصوصا، الدور الفاعل في بلورتها، وارساء معالم ترابطها، وتحقيق تواصلها، اود ان اقف امام معاني التراث ومفاهيمه.

فلكل انسان في هذا الوجود مبادىء وقيم يبتني عليها مسيرة حياتية ويرسم من خلال التعلق بها والايمان بوجوب تحقيقها ، اهدافه ومراميه، ولا يمكن ان تكون الاهداف الا انعكاسا للمبادىء، اذ أن الانقطاع ما بين المبدأ والهدف هو فصل ما بين الروح والجسد، وبالتالي تأكيد على انعدام الحياة وحكم مسبق على سقوط الاهداف لانتفاء انتمائها الى منطق الوجود.

من هنا، فإن الإنسان ينتمي الى جذوره المعنوية التي تشكل انتماءه الى شعبه وأمته وأرضه، وكلما غاصت هذه الجذور في عمق التاريخ الحضاري كلما توضحت رؤية المرء للحاضر، وتبلورت تطلعاته الى المستقبل. عندها، تتكون لديه القدرة على التطوير والتحديث والارتقاء في معارج الكمال الحضاري.

فالتراث هو الخلفية الفكرية والحضارية للأمم والشعوب، وهو بذلك، القاعدة المنطقية للتطور والارتقاء، ولا حياة لأمة بلا تاريخ، ولا وجود لشعب بلا حضارة، ولا بقاء لإنسان لا يعتمد على استمرارية امته في ميادين الخلق والابداع.

إن التراث هو الكم التراكمي من العطاء والابداع للأمم، وهو صك التأكيد على حق الأمم بالحياة، وامتلاك مكانتها المتقدمة ، وهو بمفاعيله روح الأمة التي تجعل لوجودها معناه.

والتراث على تنوعه وغناه، هو الارضية الصلبة التي يقف عليها كل أنسان وكل أمة في تطلع واثق الى الاستمرار والعطاء والابداع بتواصل حضاري واعتزاز بما قدمته الاجيال السابقة من علم وعمل في كل ميادين الحياة.

جاء في كتب اللغة حول معنى كلمة تراث، أنها بمعنى الإرث، أي ما يرثه الإنسان عن سلفه من مال منقول اوثابت وما هو مقدر بقيمة مادية او معنوية ، ويتضح لنا ، أن التراث بما هو إرث مادي ومعنوي، لا يمكن فصله، لأن الإرث الذي يحتمل القيمة المادية والمعنوية لا يمكن ان يقدر بمعزل عن علاقته المعنوية بموقعه من تاريخ الأمة ودلالاته على الفترة الزمنية وارتباطه بحدث ما وبمنطقة ما، كما يكون ملازماً جغرافيا لموقعه، فهو من عطاء الخالق بحيث يشكل تكوينا جيولوجيا ومظهرا طبيعيا. ومن هنا، نرى مدى التلازم بين التراث (بما هو قيمة معنوية ومعلم حضاري) ، وبين تاريخ الأمم والشعوب.

إن التراث ملعب رحب بقدرما هي الحياة الانسانية وبقدر ما هو العطاء الانساني والطبيعي، فمن معالم التراث لأمة من الأمم الكهوف والجبال والوديان والينابيع والغابات، كذلك الآثار والمنحوتات والاعمال اليدوية، وايضا النتاج الادبي والفكري والعلمي والفني بما هو موسيقى وشعر وغناء ورسم.

كذلك فالأديان والعقائد والقيم الاجتماعية والاخلاقية والعادات والتقاليد والأعراف تشكل كما هائلاً من التراث، وهي تأكيد على عدم القدرة على الفصل ما بين الجانب المادي والجانب المعنوي بحيث تشكل القيمة اللامقدرة للكم التراثي ، روح الأمة ودمها المتدفق في شرايين حياتها.

يتضح لنا مما تقدم، أن الاهتمام بالتراث هو اهتمام بالانسان نفسه كي لا يتحول الى آلة سيارة كلما تقدمت الى الأمام امحت من امامها الصور واللوحات التي مرت

بها، وتزول بذلك معالم الطريق، وبالتالي فإن الاهتمام بالانسان هو جوهر استمرار الحياة، لأن الانسان هو محور هذا الوجود وسبب أساسي في إبداعه.

ونحن في لبنان، ونتيجة لما مر بنا من أحداث وحرب مدمرة ، أدركنا ولو متأخرين قيمة الربط والتواصل ما بين الماضي والحاضر والمستقبل، وتدافعنا للقيام بواجب الحفاظ على تراثنا لكننا وكما يتساءل الساسة أي لبنان نريد؟ فنقول اي تراث نريد؟

فإذا كان التراث هو الماضي بمعناه ومبناه، فإن بلورته، وتحديد مفهومه يشكلان عملية توضيح صورة الحاضر وبالتالي تحديد معالم مستقبل الأجيال، وبذلك، نرسم لأولادنا وبوضوح، بعيداً عن التشنج والأهواء، وبعيداً عن المؤثرات اللاواعية آفاق المستقبل بوعي وعمق وبقدرة على امتلاك التاريخ وتحديد مساره.

فإذا ما توصلنا الى ذلك، نكون قد أجبنا فعلا على السؤال الكبير اي لبنان نريد من خلال الإجابة الموضوعية على اي تراث نريد؟ وكما قلت، فإننا لم نكن ولن نرضى ان نكون ولن تسامحنا الاجيال القادمة اذا ارتضينا دور ساعي البريد واذا توقفنا امام الشكل واللون - على الرغم من أهميتهما - وتعامينا عن تفهم المضمون والمحتوى.

واعتقد أننا، خلال الحرب التي ارادوها لقتل الروح المجتمعية في لبنان، ووضع الأحصنة في اتجاهات مختلفة حيث تتهاوى وتتفكك العربة، قد توصلنا الى فهم الحقيقة التاريخية للبنان، ووعينا ضرورة الوحدة في اطار هذا الفهم، لكن الفهم هذا يتطلب ممارسة لعملية الربط التواصلية مع الجذور وليس الإكتفاء بالعمل الأفقي بحيث نأخذ من التراث مظاهره الخارجية ولا نقف امام بعض الحقبات التاريخية مقدسين ونسقط الحقب الاخرى، ولئن ساهمت البعثات الأجنبية المنقبة عن الآثار في إهمال مراحل حضارية من تاريخنا، واهتمت بمراحل معينة، فما ذلك الا نتيجة توجهاتها السياسية والإيديولوجية. إن تعاقب الحضارات على ارضنا، وتركها لآثار ومعالم في مختلف الميادين ، يدعونا للاهتمام بها بشكل علمي وموضوعي بحيث يكون اهتمامنا بالحضارة الفينيقية والاسلامية والعربية مساويا لاهتماماتنا بالمرحلة الهيلينية والصليبية.

كذلك علينا ان لا نقف امام المعرفة المجزوءة لتاريخنا الحضاري وآثارنا، فالآثار اللبنانية ليست في ما نشاهده من مدافن او بقايا قلاع ونواويس وبعض المقتنيات الخزفية، لأن ما ذكرته يشكل جانبا من دلالات تاريخية تدفعنا الى دراسة تاريخ الحضارات في لبنان بأسلوب علمي ممنهج، فنعطي لكل انواع الفنون حقها من الدرس والبحث، وبذلك نخرج من دائرة الإخفاق في نقل المعرفة التراثية الى الأجيال ، وتعميمها بحيث يصبح المواطن في لبنان مدركا تماما لمدلولات الأثر وعالما بالقيمة الحضارية لتراثه. بذلك يستطيع الانسان اللبناني ان يسلك طريق التطوير لاستيعاب طروحات التحديث في كل ميادين العلم والفن والمعرفة.

إن إعادة كتابة التاريخ اللبناني على اسس موضوعية، وبوعي للواقع وارتباطه بالتراث الحضاري للوطن، يتطلب إدراكا حقيقيا لمعاني المراحل الحضارية التي مر بها، ومؤثراتها وآثارها، مما يجعلنا نقول بوجوب توحيد الرؤية العلمية للتراث في لبنان بحيث يعاد النظر في مجمل اساليب معالجة العلوم الانسانية ودراسة التاريخ والآثار ووضع برامج علمية تجعل من دراسة الآثار اساسا منهجيا في مراحل التعليم في لبنان ، وبالتالي إيلاء الآثار والفنون اهتماما عاليا، خاصة ونحن نشاهد لوحات فنية من مختلف العصور بدءاً من الكنعانية الفينيقية مروراً بالهيلينية لتستقر بوضوح في الحقبة الاسلامية فالعربية وصولا الى المملوكية ثم العثمانية. فالحضارات التي مرت في لبنان وتركت بصماتها واضحة فيه وفي المنطقة، تجعل فصل تاريخ لبنان الحضاري عن تاريخ المنطقة مستحيلاً، كما هو مستحيل فك الارتباط ما بين منطقة واخرى في لبنان تاريخيا وتراثيا وحضاريا.

هذه المحطات التاريخية تجعلنا ندرك اهمية التاريخ وترابطه وضرورة المحافظة على معالمه الأثرية وحماية التراث، وذلك بتعديل القوانين بحيث نمنع عمليات النهب المنظم لآثارنا عن طريق تشديد العقوبات بحق مهربي الآثار وسارقيها، كذلك تعديل ما نص عليه القانون باعتبار ما صنع او بني قبل العام ١٧٠٠ ميلادية، آثارا محمية، ليصبح ما صنع او بني قبل العام ١٩٠٠م. كذلك، وضع قواعد جديدة لعمليات البحث والتنقيب عن الآثار، وإعادة النظر بما هو جار من قسمة المكتشفات بين الدولة والبعثات.

إن توعية المواطن وخلق اهتماماته بتراثه يدعونا الى المطالبة بإعداد جيل من الباحثين والمنقبين عن الآثار والدارسين للتراث الانساني في لبنان لنستطيع إحاطة تراثنا بأيد وطنية لها من الدراية والمعرفة والتقنية ما يجعلنا في غنى عن البعثات الاجنبية واستقدام الباحثين

وبيروت، إضافة الى تاريخها الروحي والسياسي، لها تاريخها الثقافي الضخم. واذا كانت بيروت في القرن التاسع عشر قد اصبحت مركز الفكر الحديث في الشرق العربي ومبعث العلوم العصرية ومنشأ الصحافة وكتابة الأدب والسياسة فإنها بجامعاتها قد اضحت منارة العلم والمعرفة.

نسيمة الخطيب

بيروت في التاريخ

وردت تفاسير كثيرة لمدينة بيروت، وقد ورد ذكرها في رسائل تل العمارنة، Be- ru- ta.وفي النقوش المصريةBi-ur-ta ، وفي التوراة Bé erot، وفي حزقيال ٤٧:١٦Bérotha، ونرجح ان يكون معنى الاسم صنوبرة-bruta ، وقد تكون جمع بئرBeeroth. . هذا ما يقوله الدكتور انيس فريحة.

أما الأب مارتيني اليسوعي فيقول: اصلها «بروت»، وهي كلمة مجموعة معنى مفردها السرو، وقد فسرتها الترجمة العربية القديمة بالصنوبرة، في حين يقول اسطفان البيزنطي إن بيروت مشتقة من بئروت جمع بئر.

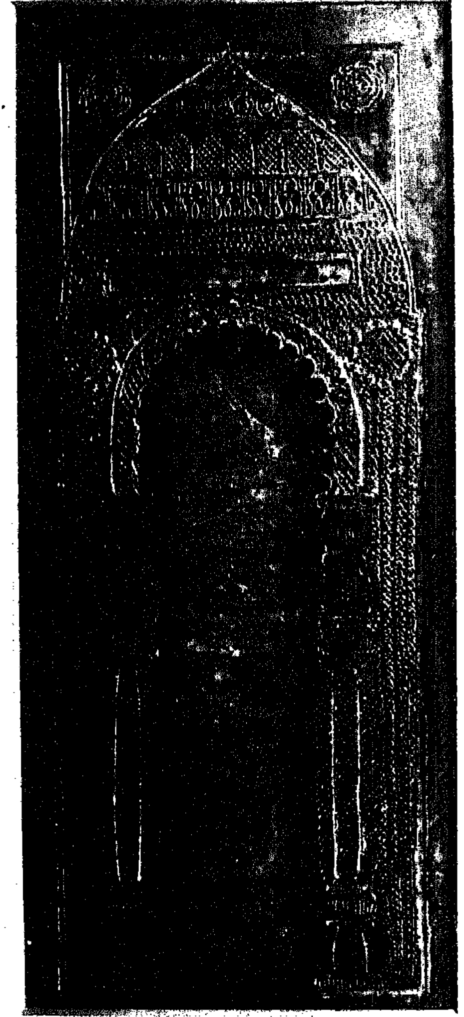
ويقول المؤرخ البيروتي سنكن يتن، الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد: «في نحو ذلك الزمن ولد عليون (ايل) وامرأة تدعى بيروت فسكنا قريبا من جبيل». فهو الذي بنى مدينة بيروت وسميت باسم زوجته.

أما نون ديونس فيقول « إن بيروت هي اول مدينة بناها ايل بنفسه » وإن نسماتها المحيية، الفائحة بأنواع الروائح الزكية تسري مسرعة بين اغصان السرو.



حرش الصنوبر في بيروت تخترقه طريق صيدا (١٨٩٠)

وبيروت من المدن القديمة على الساحل الكنعاني، وكانت رقعة تضيق وتتسع باختلاف الدول التي مرت عليها. والمرجح أن الجبيليين هم الذين بنوا مدينة بيروت، التي يعود تاريخ بناء سورها الى العهود الكنعانية. ويذكر صالح بن يحي« أن بيروت مدينة قديمة جدا ويستدل على قدمها بعتق سورها». وقد



احدى قناطر اسوار بيروت كما صورّها ناصر خسرو

ارتبطت بيروت منذ القدم بعلاقات مختلفة مع الدويلات الكنعانية، الممتدة على الساحل الشرقي للمتوسط، ومع دول المنطقة المجاورة والبعيدة. وعثر فيها على تمثال يحمل اسم الفرعون، ويعتبر اول اثر ورد فيه اسم بيروت. وقد طمع الفراعنة في عهد الأسرة الثامنة عشرة في مدينة بيروت، فسيطروا عليها خاصة في عهد تحوتمس الثالث. وجاء ذكر اسم مدينة بيروت تحت اسم Beruta في رسائل تل العمارنة، التي كتبت بالخط المسماري حيث تصف بيروت بالبلدة المنيعة، وتذكر سفنها الحربية والتجارية على السواء. لكن بيروت لم تزدهر مثل صيدون وجبيل وارواد وعمريت، واوغاريت. لذلك فإن اخبارها قليلة في هذه العصور.

وفي العصر اليوناني، دخلت بيروت تحت حكم الاسكندر سنة ٣٣٢ ق. م.، وبعده تحت حكم السلوقيين خلفائه. وسمح اليونان لأهالي بيروت بإقامة شعائرهم الدينية، ثم مزجوا بين الآلهة اليونانية والفينيقية، وكسوها مسحة يونانية.

سنة ١٤٠ ق.م.، تعرضت بيروت للحريق والتخريب. فدمرت ابنيتها، وأحرقت بساتينها نتيجة حرب بين الكسندر بالا، الذي ادعى الملك لنفسه، وبين مليكها الشرعي ديمتريوس الثاني، لكن أهلها عادوا وجددوا بناءها، واقاموها من جديد.

ونتيجة لاحتلال الرومان لبلادنا سنة ٦٤ق. م.، في عهد بومبيوس، خضعت بيروت كسائر المدن السورية آنذاك، لهذا الحكم.

وقد اتخذ الرومان من بيروت مستعمرة رومانية، ففي سنة ١٦ق. م.، قدم سوريا اغريبا صهر اوغسطس قيصر، وأصبح حاكماً عاماً على البلاد، فكان اول ما صرف اليه نظره هو ان يقيم مستعمرة، يحل فيها الجنود المتقاعدين ممن امتازوا في خدمة الوطن. فلم يجد موقعا اصلح شأنا، وأنسب مقاما، من بيروت، فجعلها سكناً لفئتين من الجند هما: الخامسة والثامنة المعروفتين بالفئة المكدونية والفئة الأوغسطية. ومما لا

شك فيه، أن اغريبا اعاد لبيروت زهاءها القديم بعد ان عبثت بها أيدي الزمان، واهمال الطاغية تريفون. فأوعز الى جنوده بأن يشيدوا فيها المباني الحسنة ويوفروا اسباب الهناء. وكانت اشبه بحصن يمد حاكم الولاية بمزيد من الجنود عند الحاجة، مما امكنها ان تمد القائد «فاروس» حاكم سوريا في عهد اوغسطس قيصر بألف وخمسمائة جندي، لّما مر في المدينة وهو في طريقه لمحاربة بلاد اليهودية.

وكانت بيروت المدينة الوحيدة من المدن الساحلية التي لعبت دورا هاما في نشاط غير النشاط التجاري والاقتصادي. فقد كان لها مقام ثقافي مرموق في جميع انحاء الامبراطورية الرومانية والعالم القديم آنذاك. فهي من اقدم المستعمرات الرومانية في سوريا. وقد منحها اوغسطس قيصر اللقب الفخري «كولونيا جوليا اوغسطا السعيدة بيروت "Colomia julia Augusta Berytus" وذلك، تكريماً لابنته جوليا. وقد ورد اسمها ايضاًعلى النقود «مستعمرة جوليا اوغسطا السعيدة بيروت».

وما عتمت بيروت ان صارت مركزا خطيرا لإدارة شؤون روما البحر المتوسط الذي كان غلب عليه سابقا النفوذ اليوناني، واصبحت مرقبا يرصدون منه كل من يعادي فتوحاتهم الجديدة. وضربت فيها نقود المستعمرات التي تمثل جنديا يفلح الأرض.

ولم يمض على بيروت زمن قليل حتى امتزج سكانها الأقدمون بالمستعمرين الرومان امتزاجا فعالا. فكان من يحتل بيروت يحسبها مدينة رومانية لتغلب الرومان ولسانهم واسمائهم عليها. والشاهد على ذلك الكتابات اللاتينية العديدة المكتشفة فيها. ولا ترى من المخطوطات اليونانية الا اليسير، بل ظهر فيها ايضا نفوذ آلهة روما. فأخذ الفينيقيون شيئا من شعائرهم. ولم تكن الاقطاعات الموقوفة على المستعمرة بيروت منحصرة في ضواحي المدينة والبسائط المجاورة، بل كانت تشمل الجبال المشرفة على المدينة، ومن ثم، تمتد الى ان تبلغ قسما من البقاع الى جهات منبع العاصي.

ونالت بيروت، بارتقائها الى رتبة مستعمرة رومانية، امتيازات عديدة، منها أن اهلها لم يدفعوا الجزية، ومنها استقلالها عن حاكم الولاية، وكان اهلها يختارون ولاتهم وحكامهم دون تدخل العاصمة الرومانية في شؤونهم، فأضحت كأنها دولة صغيرة ضمن الأملاك الرومانية في الشرق تتصرف بأحكامها العاصمة نفسها. وكان لها على مثال روما حاكمان <duumviri> يحلان ويربطان ويأمران وينهيان كقناصلة روما. ولها دار ندوة يجلس فيها للبحث في مصالح المدينة مئة من رؤساء العشائر"décurions".

ومما ازدانت به بيروت، ساحة كبرى لاجتماع الجمهور، وملعب للملاهي العمومية، وأروقة مظللة للتنزه. وكان الرومان يقصدون بيروت للترويح عن النفس، ويؤثرونها على سواها من مدن الساحل لقضاء فصل الصيف في مشارف الجبل القريب منها. وفيها



دير القلعة في بيت مري، وهو بقايا حصن ومعبد روماني

كان ولاة سوريا يقيمون الحفلات والمحاكم القضائية.

فكل هذه الامتيازات التي ظفرت بها بيروت، اثارت في اهل المدن المجاورة الرغبة في الحصول على رتبة المستعمرة.

وكان الولاة اليهود، الذين يحكمون كملوك تحت امرة الامبراطور الروماني، يغدقون العطاء على مدينة بيروت بتشييدهم ابنية عامة فخمة، وذلك إرضاء لأسيادهم الرومان. وفي اثناء الحروب التي شنها فسباسيان "Vaspasian" ضد اليهود، نصبه جنوده امبراطوراً واعلنوا خبر تسنمه العرش في مدينة قيسارية سنة ٦٩م.

وعندما قفل عائدا الى روما عرج على بيروت وظل فيها مدة يتقبل تهاني الوفود التي جاءت من سوريا وغيرها من المقاطعات. وقد جاء بعض الوفود لابسين تيجانهم مبالغة في التكريم والتعظيم.

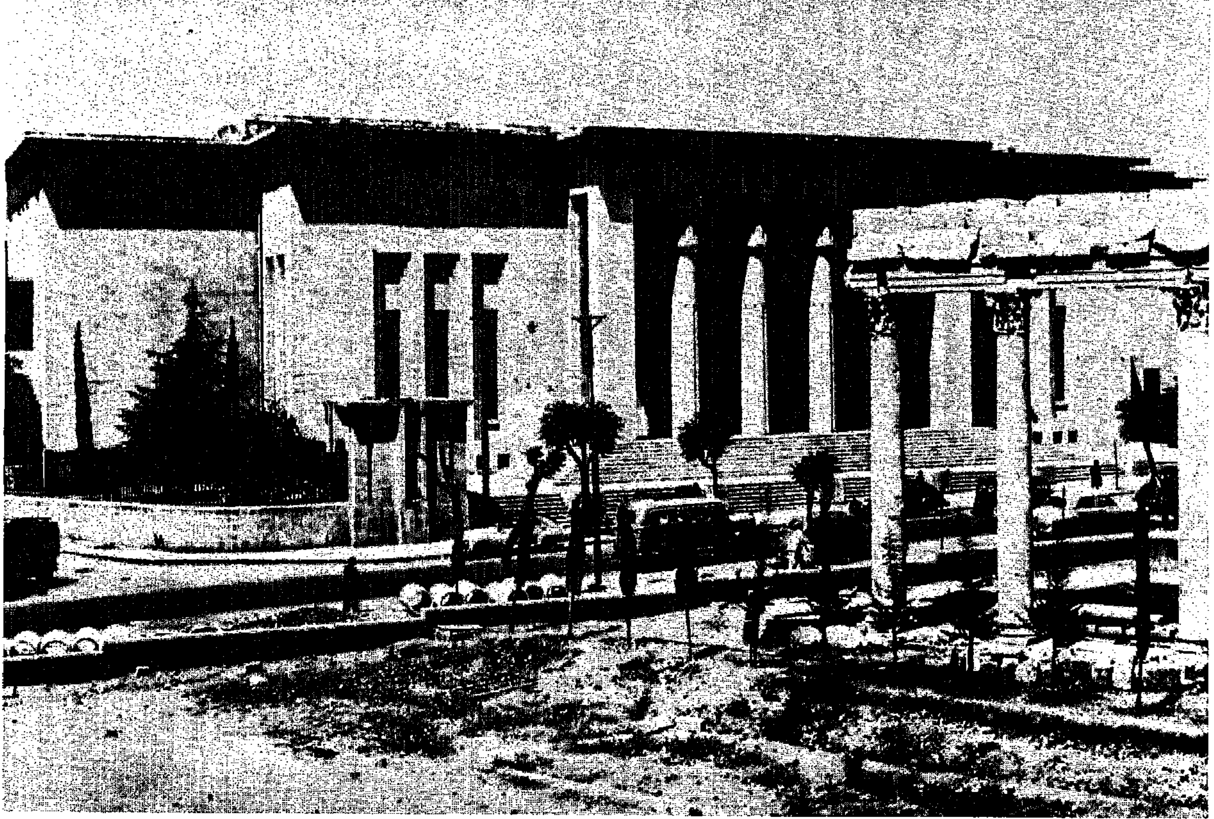
وقد بنى أغريبا الثاني، المتوفي سنة ١٠٠م، قصراً لإقامته في بيروت، ومسرحا فخما تقام فيه التمثيليات السنوية، وتوزع أثناءها العطايا والهبات من الزيت والحنطة على فقراء الناس. ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي: «إنه جمل المدينة كلها بإقامة التماثيل...... ورفع الصور التي رسمتها ايدي الفنانين القدماء». وقد ظلت الحفلات التمثيلية والألعاب الرياضية، التي عرفت بها بيروت، شائعة حتى القرن الرابع للميلاد.

وكان شفيع بيروت الرومانية وإلهها المفضل «بوسيدون» إله البحر، وقد عبد البيروتيون ايضا، إله بعلبك جوبيتر المشتري، مما يدل على توثيق الصلات بين بيروت بعلبك.

واشتهرت بيروت بكونها مركزا ثقافيا. فقد كان فيها اشهر معهد روماني للقانون خارج ايطاليا وكانت المدينة الوحيدة، من بين مدن سوريا البيزنطية كلها، التي نافست انطاكية في الزعامة الفكرية. وكانت قبلة انظار طلاب القانون من جميع انحاء الشرق. وقد نشأت مدرسة الحقوق هذه في اواخر القرن الثاني للميلاد، وازدهرت منذ اوائل القرن الثالث، حتى منتصف القرن السادس. ومن المرجح ان يكون الامبراطور سبتيموس سفيروس سنة ١٩٣ـ ٢٢١، هو مؤسس هذا المعهد. وكان معهد الحقوق اقدم معهد من نوعه في المقاطعات الرومانية واشهرها، وقد احتل الصدارة بين معاهد اثينا والاسكندرية وقيصرية والقسطنطينية واخذ المشترعون الرومان يدرسون في بيروت بعد ان تحولت مدرسة الحقوق الى مركز فكري خلاق. وكان من ابرز المشترعين الرومانيين الذين درسوا في معهد الحقوق البيروتي، اميليوس بابنيانوس ودوميتيوس اولبيانوس. وقد ترك لنا بابنيانوس إرثا تشريعيا اثمن من اي إرث آخر، خلفه لنا المشترعون الرومان. فإنه سنة ٥٣٣، عندما وضعت مجموعة الشرائع المعروفة بشرائع يوستنيان الكبير، ادخل فيها اكثر من ٥٩٥ مادة وبندا من المواد القانونية التي خلفها بابنيانوس في مؤلفاته، ومن المعلوم أن مجموعة شرائع يوستنيان هي الأساس الذي يقوم عليه اغلب الشرائع الأوروبية في عهدنا هذا. أما دوميتيوس اولبيانوس الذي ولد في صور سنة ١٧٠م، فقد اصبح المستشار القانوني للامبراطور السوري اسكندر سافيروس لأنه كان استاذه ووليه. ويظهر أن المؤسسة الحقوقية في بيروت وصلت الى غاية تطورها في القرن الخامس عندما اجتذبت جماعة من المفكرين الشبان في الامبراطورية البيزنطية.

ولما كانت بيروت معهدا يتثقف فيه رجال الحكم ورجال الدولة، كذلك كانت مركزا للدراسات اللاهوتية المسيحية. ووردت اشارة في الكتابات الكنسية الى مدرسة الحقوق في بيروت في خطبة لغريغوريوس توماترجس"Thaumaturhus" ألقاها حوالي سنة ٢٤٠م. وكان قد أتى من كبدوكية ليدرس في بيروت. وهناك تلميذ آخر مشهور هو بمفيلوسPamphilus البيروتي الأصل والذي اصبح فيما بعد كاهن مدينة قيصرية. وغريغوريوس النازينيزي "Nazianzus"، الذي اصبح اسقف القسطنطينية وقديسا فيما بعد. والذي كان اكثر من هؤلاء شهرة هو سفيروس بطريرك انطاكية اليعقوبي سنة (٥١٢ ـ ٥١٨)، الذي كتب ترجمته زميله زكريا الغزي (كتبت بالسريانية).

والى جانب مدرسة الحقوق قامت مدارس للآداب والفلسفة والتاريخ. فاشتهر من طلابها هرميوس البيروتي في التاريخ وطورس البيروتي في الفلسفة، ولوبركوس البيروتي في اللغات ومناسياس البيروتي في الخطابة.



المتحف اللبناني في بيروت

وترك لنا زكريا الغزاوي تفاصيل ممتعة عن الحياة الجامعية في مدينة بيروت. ويبدو أن التلاميذ القدماء كانوا يستقبلون التلاميذ الجدد بالسخرية، ولكن دون ان يسيئوا معاملتهم، وذلك لاختبار مقدرتهم على ضبط النفس. وهو ما يشبه التحامل المعتاد على طلاب السنة الأولى في الحياة الجامعية اليوم.

وقد حصلت ما بين سنة ٥٥١ - ٥٥٥م، سلسلة من الهزات الأرضية، كادت ان تقضي على مدن الساحل السوري، وكانت بيروت قد تعرضت سابقا الى هزة سنة ٣٤٩م، هدمت بعض اجزائها ولكن الأمر يختلف هذه المرة، إذ أن المدينة التي كانت من اجمل المدن وزينة الساحل حتى ذلك الحين تهدمت اهم ابنيتها، ولم يبق منها بناء واحد تقريبا، وهلك عدد كبير من سكانها تحت الأرض. وقد اضطرت الدولة الى نقل مدرسة الحقوق الى صيدا ريثما يتجدد بناء المدينة ومدارسها. ولكن قبل تدشين ابنية الجامعة الجديدة في بيروت سنة ٥٦٠م، نشبت النيران في بيروت والتهمت معاهدها ودور سكنها. وبعدها لم يعد يسمع شيئا عن الجامعة. وكان لهذه الفاجعة صدى تردد في جميع انحاء الامبراطورية. وقد رثاها شاعر اغريقي معاصر من اسبانيا اذ قال « هأنذا - المدينة التاعسة كومة من خرائب، ابنائي اموات، يا لتعاستي، - بعد ان كنت مجسم الجمال

أصبحت رمادا، هل تبكون علي ايها العابرون الماشون فوق اطلالي، هل تسكبون علي دمعة حزن. هل تأسون لمجد بيروت، بيروت التي لا وجود لها - أيها الملاح لا تمل بشراعك نحو شاطئي، لا تنزل شراع مركبتك فإن مرفئي الأمين قد اصبح ارضا يابسة قفراء. اصبحت لحدا موحشا أملْ عني سراي الموانىء الفرحة التي لا تعرف البكاء، الى موانيها، سرْ على صوت قرع المجذاف. هكذا شاء الإله بوسيدون، إله البحر والزلازل، وهكذا شاءت الآلهة السمحاء، وداعا يا ملاحي البحار، وداعا ايتها القوافل الآتية من وراء الجبال». كما رثاها محام اغريقي من آسيا الصغرى بقوله: «بيروت، اجمل المدن، الدرة في تاج فينيقيا، فقدت لألأها ورونقها، بناياتها التي تعد آيات في فن العمارة تداعت وسقطت ولم يبق فيها جدار واقف، لم يبق منها سوى الأساسات».

وفي مطلع الثلاثينات من القرن السابع، فتح العرب المشرق وبلاد الشام، ودخلت المدن الساحلية تحت الحكم العربي، ومنها مدينة بيروت.

ولعل عدم أهمية بيروت آنذاك، وتواضع بيوتها وصغرها وقلة عدد سكانها، جعل المؤرخين لا يعيرونها اهتماما، إنما كانت تابعة لجند دمشق. لكن سنة ٦٤٣م، استرد البيزنطيون مدينة بيروت، وسنة ٦٦٧م عادت الى العرب فحولوها الى مركز للاسطول البحري العربي وجلبوا الكثير من السكان والقبائل وأسكنوهم فيها، وأصبحت احدى مرابط جند دمشق.

ويقول ابن حوقل في هذا الصدد: «مدينة بيروت التي على ساحل بحر الروم، بها يرابط اهل دمشق وسائر جندها». وكان أهلها يتكلمون الارامية واليونانية، ولما دخل العرب اليها اخذوا يتعلمون اللغة العربية.

وعندما ظفر معاوية بالخلافة، عمل على تدعيم المدن الساحلية، ومنها مدينة بيروت، وأجرى حركة تبديل في هذه المدن للقضاء على الشعور القومي عند السكان الموالين للبيزنطيين، فأسكن فيها قبائل عربية وقوما من الفرس، ويقول اليعقوبي «إن جبيل وصيدا وبيروت واهل هذه الكور كلها قوم من الفرس نقلهم اليها معاوية بن ابي سفيان». وقد حصن معاوية بيروت كما حصن بقية الثغور الساحلية، ورمم وبنى فيها الكثير من الأبراج والمنارات، وجعل منها مركزا للاسطول البحري العربي، وكان امير البحر هو أمير مدينة بيروت. وفي أيام عبد الملك بن مروان استحدث منصب أمير المدينة، وأطلق عليه لقب «اميرساحل دمشق» وهي المنطقة الممتدة من عكا الى طربلس، وكان يتخذ بيروت مقراً له، والتي زارها الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

وفي العهد العباسي تحولت انظار العرب والمسلمين الى المدن الداخلية كبغداد ودمشق وحمص وحلب، الا أن بعض الخلفاء وخاصة المنصور منهم، ادركوا اهمية الساحل وثغوره. فأرسل بعض القبائل العربية واسكنها في بيروت وضواحيها، وخاصة عشائر بني تنوخ.وفي هذا العصر، نبغ في بيروت بعض من اهل العلم والادب منهم الوليد البيروتي وابنه ابو الفضل العباس، وابو مهر البيروتي، وعبدالله بن اسماعيل بن صخر البيروتي، ومكحول البيروتي. وكان اعظم هؤلاء واشهرهم على الاطلاق الامام الاوزاعي البعلبكي الذي وقف مع الحق ونصرة المظلوم والضعيف ضد تعسف الوالي. وقد ذاع صيته في جميع ارجاء العالم الاسلامي.

ولما مر الخليفة المنصور في بيروت، وسمع الامام الأوزاعي يخطب في المسجد، أعجب به كثيرا وأحبه، وقد استشاره في بعض الأمور. وعندما علم الأوزاعي أن الخليفة متردد في افتداء بعض اسرى المسلمين الذين وقعوا في يد الروم، بعث اليه برسالة يطلب فيها افتداءهم فاستجاب الخليفة لطلبه، فقيل إن الأوزاعي سلطته تفوق سلطة الخليفة. ومقام الاوزاعي لا يزال قائما حتى يومنا هذا في ضاحية بيروت الجنوبية على الرمال المعروفة باسمه. ويرجع الفضل في بقاء هذا الجامع الى المسيحيين الذين اقنعوا الصليبيين بعدم هدمه وقد عبروا بذلك عن وفائهم له، فهو الذي وقف



مقام الإمام الأوزاعي في الطرف الجنوبي لمدينة بيروت

بجانبهم خلال ازمتهم مع الوالي العباسي صالح بن علي اثناء ثورة بندار في المنيطرة. وقد كتب الى الخليفة يقول: «وقد كان من إجلاء اهل الذمة من جبل لبنان، ممن لم يكن ممالئا لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم، ورددت باقيهم الى قراهم ما قد علمت. فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة، حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم،وحكم الله تعالى ان لا تزر وازرة وزر أخرى، وهو احق مما وقف عنده وافتدى به واحق الوصايا ان تحفظ وترعى وصية رسول الله فإنه قال: «من ظلم معاهدا وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة».

وفي عهد الدولة الفاطمية دخلت بيروت في عهدة الفاطميين ثم ما لبثت ان تجاذبها الفاطميون والبيزنطيون على السواء. فالملك يوحنا زيميسيس المعروف بابن الشمشقيق فتح بيروت واسر اميرها نصر الخادم.

وقد ولى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله على بيروت «الفتح القلعي» ولقبه «مبارك الدولة وسعد الدولة». وبقيت بيروت خلال القرنين العاشر والحادي عشر تابعة لجند دمشق. وحين دخول الصليبيين إلى بلادنا كانت بيروت لا تزال في حوزة الفاطميين.

وسنة ١١١٠، سقطت بيروت بيد الصليبيين على يد بلدوين ملك القدس، وحولوها الى بارونية. وبنوا فيها كنيسة على اطلال معبد روماني قديم باسم القديس يوحنا المعمدان. وبانتصار صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين في معركة حطين سنة ١١٨٧، عادت بيروت الى حوزة العرب والمسلمين في ٦ آب سنة ١١٨٧. وقد ترك صلاح الدين الحرية لأهالي بيروت وغيرها من المدن في ان يبقوا فيها او يرحلوا. فآثر معظمهم الرحيل الى صور. وفي سنة ١١٩٧، عندما كانت بيروت في عهدة الامير اسامة بن منقذ

متوليها من قبل الملك العادل، عادت الى الصليبيين بعدما سلمها الامير حتى تسلم من الدمار، وخرج منها وجماعته الى صيدا.

وبعد اندلاع الحروب بين المماليك والصليبيين في زمن السلطان الاشرف خليل، دخلت بيروت في أمرة المماليك سنة ١٢٩١، بقيادة الامير سنقر الشجاعي احد قادتهم ، فعامل سكانها معاملة سيئة، وقضى على قسم منهم وارسل قسما آخر الى مصر، كما توجه قسم كبير منهم الى قبرص. وأتبعت بيروت بنيابة دمشق، وكلف امراء الغرب بالدفاع عنها. لكنها لم تنجُ احيانا من غارات الاسطول الفرنجي وخاصة الجنوي منه. ويذكر صالح بن يحي «انه في سنة ١٢٩٩، وصلت الى بيروت مراكب كثيرة للفرنج وسنة ١٣٣٣، نزلت سفن جنوى الايطالية في بيروت والتي أغارت عليها ايضا سنة ١٣٨٢ وسنة ١٤٠٣.وخوفا من عودة الصليبيين اليها، حصنها المماليك وجعلوها مركزا للدفاع عن الساحل السوري وقاعدة لغزو جزيرة قبرص. ثم اتخذ منها أمراء الغرب مسكنا لهم للدفاع عنها وهم في الحقيقة كانوا يفضلون سكن مناطقهم. وقد عمر امير الغرب سيف الدين يحي ايوان بيروت ، وجلب الماء الى حارة بيروت المجاورة للبحر. وقد هاجم احد امرائهم ناصر الدين بيروت بقوله:

متى ارى بيروت لا عمرت
تحرث يوما بالمحاريث
فما بها خير يراه الفتى
ألا أفاعي وبراغيث
أو حاسد نذل قليل الحيا
للشر مخلوق ومبعوث
فشيخهم افسق من ظلمه
واولادهم جميعا مخانيث.

في حين افاض في مدح منطقة الغرب عبيه وجوارها:

ما غرب بيروت الامشرق طلعت
منه شموس الندى والسيف والقلم.

وفي سنة ١٢٩٤، تعرضت بيروت لوباء الطاعون الذي اباد الكثير من سكانها.

وسنة ١٥١٦، دخلت بيروت في عهدة الدولة العثمانية، وعين «محمد قرقماز الجركسي» حاكما عليها وعلى صيدا والبقاع. وأعتبر اول حاكم على مدينة بيروت في ظل الدولة العثمانية. وفي عهد السلطان



السلطان سليمان القانوني

سليمان القانوني قسمت سوريا الى ثلاث ولايات هي : ولاية الشام ومركزها دمشق ويتبعها ١٢ سنجقا منها بيروت وصيدا. وولاية طرابلس ومركزها طرابلس. وولاية حلب ومركزها حلب.

وسنة ١٥٩٢، دخلت بيروت ضمن إمارة الامير فخر الدين المعني الثاني، واصبحت مركزا لتجمع قواته التي تأتيه من الشوف والغرب وسائر المناطق. وقد جعلها الامير سنة ١٦٣٢، العاصمة الثانية لملكه، وساهم الخبراء الايطاليون في تحصينها وتجميلها، فبنيت فيها الفنادق، وانشئت الحدائق، ورصفت الأسواق، وكل ذلك على الطراز الايطالي. وقد بنى الامير فخر الدين قصرا له في منطقة البرج شمال بيروت وهي المنطقة المعروفة اليوم بساحة البرج .

وبعد هزيمة الامير فخر الدين ومقتله، أتبعت بيروت بولاية صيدا سنة ١٦٦٠، بعد ان سلخت عن ولاية دمشق. وفي سنة ١٦٦٢، تم تعيين اول قنصل فرنسي

فيها، هو ابو نوفل الخازن، وكان قد منحه لويس الرابع عشر الجنسية الفرنسية. وفي سنة ١٦٦٤، جرت في بيروت عند الغلغول معركة بين الحزب القيسي والحزب اليمني وقد انهزم فيها اليمنيون.

دخلت بيروت فعليا في حوزة الامراء الشهابيين سنة ١٧٤٩ في عهد الامير ملحم الشهابي الذي جعلها عاصمة شتوية له. وحاول احمد باشا الجزار الاستقلال بها في عهد الامير يوسف الشهابي فأخرجه هذا الاخير منها بمساعدة الشيخ ظاهر العمر سنة ١٨٧٣، بعد ان ضربت من قبل الاسطول الروسي.



نصب ابراهيم باشا في القاهرة



مجلس أحمد باشا الجزار

وأثناء حملة ابراهيم باشا على بلادنا ، خضعت بيروت للمصريين سنة ١٨٣١، وعين محمود ناهي بك محافظا عليها سنة ١٨٣٣، اذ الغى ابراهيم باشا التقسيمات الادارية في بلاد الشام، واتخذ من انطاكية مقرا له. لكن سنة ١٨٤٠ ، انسحب الاسطول المصري من بيروت تحت ضغط الاسطول البريطاني، إلا أن المدينة لم تسلم من قصف الاسطول الأخير الذي قصف المحجر الصحي بالقنابل الثقيلة، مما ادى إلى مقتل

الكثير من المدنيين والعسكريين وتهدم سور المدينة، واحراق ما تبقى من الاسطول المصري، وبرحيل «محمود ناهي بك» مع القوات المصرية، تولى بيروت «زكريا باشا» ثم «سليم باشا» «فعزت باشا».

ونتيجة للحروب الأهلية التي اندلعت في لبنان ما بين سنتي ١٨٤٠ و١٨٦٠، تحولت بيروت الى ملجأ



بيروت عام ١٩٠٥ من جامع المجيدية حتى كنيسة الكبوشيين

للعائلات المضطهدة وخاصة المسيحيين منها. كما تحولت فيما بعد الى مركز دولي لحل ازمة لبنان. اذ شهدت اجتماع ممثلي الدول الكبرى انكلترا، روسيا، النمسا وبروسيا بالاضافة الى مندوب الدولة العثمانية. وقد نجم عن هذا الاجتماع استقلال جبل لبنان ذاتيا واداريا وتحويله الى متصرفية وربطه مباشرة بالآستانة.

وسنة ١٨٨٨، تحولت بيروت الى مركز ولاية، وامتدت الى خارج السور والابواب، وذلك على اثر صدور قانون تشكيل الولايات. واصبحت بلاد الشام

تضم ولايتين فقط هي ولاية سوريا ومركزها دمشق وولاية حلب. والغيت ولاية صيدا ، وألحقت بيروت وصيدا وطرابلس بولاية سوريا. ثم فصلت بيروت في السنة نفسها، عن ولاية سوريا ، وانشئت ولاية بيروت ومركزها بيروت.

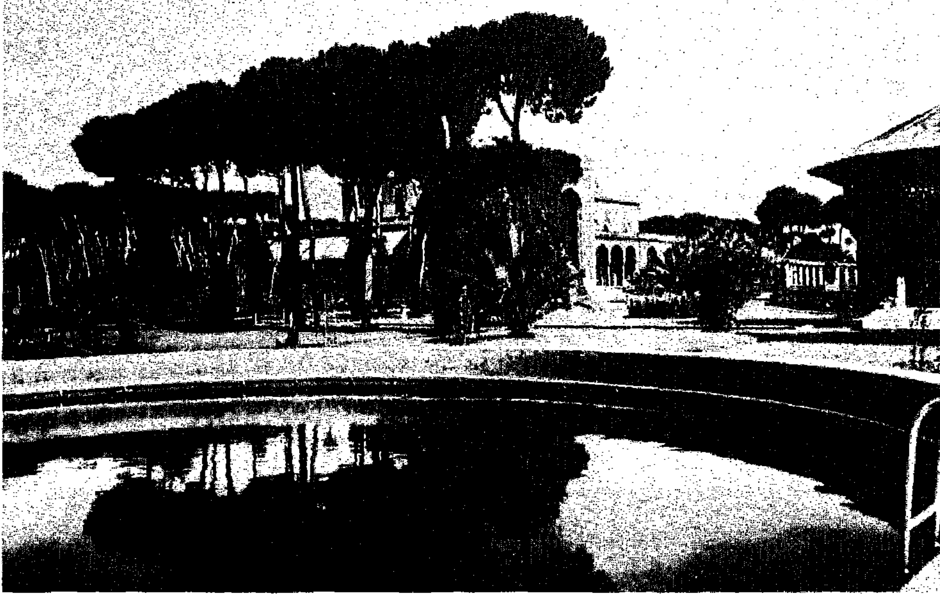
في ٣٠ ايلول سنة ١٩١٨، وبنهاية الحرب العالمية



الاولى، وانهزام الدولة العثمانية واعلان قيام الحكومة العربية في دمشق، رفع العلم العربي فوق مبنى بلدية بيروت وسلم آخر حاكم تركي على المدينة «اسماعيل حقي» مقاليد الحكم الى عمر الداعوق، رئيس بلدية بيروت، ثم رفع العلم العربي على المباني الرسمية والعامة.

وفي ١٨ تشرين الاول سنة ١٩١٨، أرسلت فرقة فرنسية بقيادة الكولونيل دي بياباب وانزلت العلم العربي عن السراي ، ثم اصدر أمر الى شكري الأيوبي ممثل الحكومة العربية في بيروت بمغادرة المدينة،

وانسحب الجيش العربي وشكري الايوبي إلى دمشق، واصبحت بيروت عاصمة المنطقة الغربية بما فيها جبل لبنان وبلاد العلويين. وفي اول خطوة انتدابية، كان



قصر الصنوبر، مقر المفوض السامي الفرنسي

فرنسوا جورج بيكو، قنصل فرنسا السابق في بيروت، اول مفوض سامي عليها

وفي ٣١ آب سنة ١٩٢٠، تمت ولادة دولة لبنان الكبير وعاصمته بيروت ومركز المفوضية السامية في سوريا ولبنان. وبعدها بقيت بيروت عاصمة لبنان حتى يومنا هذا.

مراجع البحث

- لبنان في التاريخ - فيليب حتي
- لبنان والبلدان المجاورة - جواد بولس
- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين - فيليب حتي.
- تسريح الابصار فيما يحتوي لبنان من آثار - الأب هنري لامنس اليسوعي
- تاريخ بيروت - عصام محمد شبارو
- تاريخ لبنان - الاب مرتين اليسوعي.
- معجم اسماء المدن والقرى اللبنانية - انيس فريحة.
- تاريخ لبنان العام - يوسف مزهر
- تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني - عيسى اسكندر المعلوف
- الرحلة الشامية - محمد علي باشا
- لبنان في عهد الامراء الشهابيين - رستم والبستاني
- لبنان مباحث علمية واجتماعية - لجنة من الأدباء
- تاريخ بيروت - صالح بن يحي
- اوراق لبنانية - يوسف يزبك
- بيروت ولبنان - هنري غيز
- تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي
- فتوح البلدان - البلاذري
- صورة الارض - ابن حوقل
- المسالك والممالك - ابن خردزابة
- تاريخ سوريا - جرجي يني
- اخبار الاعيان - طنوس الشدياق
- تاريخ الازمنة - البطريرك اسطفان الدويهي
- لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني - محمد علي مكي
- بيروت ولبنان في عهد آل عثمان - يوسف الحكيم.

التراث الروحي لمدينة بيروت

اذا تكلمنا عن آثار بيروت وتراثها، يجب ان لا ننسى التراث الروحي لهذه المدينة وهو لا يقل شأنا عن تراثها المدني، مع العلم أن الحرب الأخيرة قد عبثت بالكثير من هذا التراث، لا سيما الكنائس والجوامع الواقعة ضمن ما كان يسمى بخطوط التماس، وأتت على قسم كبير من هذه الأبنية الجميلة.

فبيروت التي اشتهرت قديما بكونها مركزا ثقافيا ، حيث كانت قبلة لطلاب القانون والمعرفة من جميع انحاء المشرق، ولمعت حديثا في مركز المال والعلم. يجب ان نبقيها هكذا ونحافظ على هذا التراث الذي يشكل القسم الأكبر من تاريخنا.

فالانسان حكما، عدو ما يجهل، وقد ناصب قسم كبير من اللبنانيين عاصمتهم العداء، لأنهم يجهلون تاريخها وتراثها. فعندما يهتز بعمق تاريخ شعب لا بد له من العودة الى التاريخ. وكما يقول المؤرخ هربرت هنري بير (H.Berr): «إن الحياة هي استمرارية التاريخ لأنه لا يمكن ان ينفصل الماضي عن الحاضر، وهكذا الانسان لا يفهم حاضره الا بماضيه، وماضيه الاّ بحاضره».

وفي دراستنا هذه سنركز على بعض من هذا التراث في منحاه الاجتماعي والروحي الاسلامي والمسيحي على السواء.

فالمساجد الاسلامية في بيروت ليست كلها على نسق واحد، لا سيما من حيث شكلها وهندسة بنائها ، بل هي تبدو مختلفة المظاهر، وذلك تبعا للعهود والدول التي تعاقبت على هذه المدينة منذ الفتوح الأولى قبل اربعة عشر قرنا وحتى اليوم. واذ استثنينا جامع حنتوس او الامام الاوزاعي، والجامع العمري الذي لا يزال حتى الان يحتفظ بملامح الهندسة الصليبية، فإننا

نجد بقية المساجد لا ترقى الى أبعد من العهد العثماني، وتجمع بين اسلوب البناء من الطراز المملوكي والطراز التركي.

ويعتقد أن أول جوامع بيروت هو جامع العمري الذي بني زمان عمر بن الخطاب، ويسمى جامع العمري لأنه كما هو مشهور عندهم (أي عند البيروتيين) من زمان عمر بن الخطاب، وهو اصغر من الجوامع التي في بيروت (التحفة النابلسية للشيخ عبد الغني النابلسي).وقد كان هذا الجامع هيكلا وثنيا شيده الامبراطور فيليب العربي الحوراني في القرن الثالث قبل الميلاد. وبعد الزلزال الذي ضرب مدينة بيروت وأزال الكثير من معالمها، بنى الصليبيون على انقاض هذا الهيكل في عهد الملك بغدوين كنيسة القديس يوحنا المعمدان.

وكانت من أولى الكنائس التي بناها الصليبيون في سوريا، وبعد انكسار الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧، استعاد المسلمون بيروت ثم عاد واستردها الصليبيون وبقيت بين كر وفر حتى عهد المماليك حيث حول الأمير سنجر الشجاعي مولى الملك الأشرف خليل الكنيسة المذكورة الى جامع، وما زال حتى يومنا هذا. وقد جدد بناءه حاكم بيروت زين الدين بن عبد الرحمن الباعوني وطور في هندسته البيزنطية بإدخاله عليها فن البناء الاسلامي.

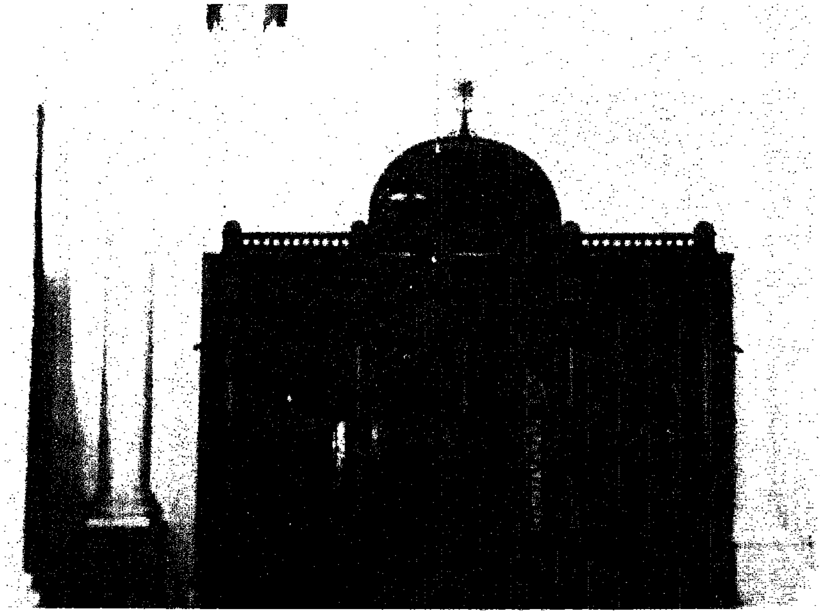
وعلى مدار السنين كان حكام بيروت الأتراك يجددون بناء الجامع ويضيفون عليه المآذن والغرف والدور. وقد غطى الأتراك القبة والجدران بطلاء كلسي لا يترك مجالا لرؤية الزينة والزخارف السابقة، ويقع هذا الجامع بين شارع النجمة والمعرض وويغان. وفي



الجامع العمري الكبير
١٩١٥

داخل هذا الجامع قفص حديدي يعتقد أنه مقام النبي يحيى (يوحنا المعمدان)..

سنة ١٣٢٨ هجرية، ارسل السلطان محمد رشاد، الشعرة النبوية الشريفة تقديرا لولاء سكان بيروت (حيث يفتح الصندوق للتبرك في ٢٦ رمضان من كل عام بإشراف آل الفاخوري) كما عرف هذا الجامع قديما بجامع النبي يحيى.



حاجز قبر النبي يحي في الجامع العمري الكبير.

سنة ١٩٥٦ انشيء، المنبر الرخامي الحالي في هذا الجامع على نفقة ابراهيم الغندور المصري. وتأسس البهو الحالي في عهد الشيخ محمد خالد ومختار خالد. وبتاريخ ١٦ حزيران من سنة ١٩٣٦ ، صدر مرسوم جمهوري رقم ٦١٢، بجعل الجامع من الابنية الأثرية. وقد جددت مديرية الأوقاف الاسلامية سقوفية الجامع ونقوشه بمساهمة مصلحة الآثار اللبنانية ما بين ١٩٥٢-١٩٦٠.

اما جامع الامير عساف الذي يقع في وسط مدينة بيروت، فقد شيده الامير منصور بن عساف التركماني، اذ بني بمحاذاة القصر الذي كان يتخذه

مركزا لادارة حكمه، واطلق على هذا القصر اسم السراي ودار الولاية. ولا يزال هذا الجامع حتى الآن في مكانه، يحتفظ بشكله القديم، في الجهة الغربية من سوق سرسق بين شارع ويغان ومتفرعات النجمة وسوق سرسق .



جامع الامير عساف

وقد ازالت دائرة الأوقاف الاسلامية بابه الذي كان يصعد اليه بدرج صغير من الجهة الشرقية ونقل الى الجهة الشمالية، وازيلت الحوانيت القديمة التي كانت على مدخله الحالي سنة ١٩٤٦ـ ١٩٤٧، بالاشتراك مع مديرية الأوقاف ومديرية الآثار اللبنانية. ثم اجرت مديرية الآثار الاسلامية ترميمات واسعة على هذا

المسجد. وبموجب المرسوم ٦١٢ الصادر في ١٦ حزيران سنة ١٩٣٦، اصبح من الابنية الاثرية.

وجامع الامير منذر التنوخي الذي كان متوليا على بيروت من طرف الامير فخر الدين المعني الكبير، والذي يقع في وسط بيروت في منطقة باب ادريس شارع البنوك سوق البزركان. كان قد شيده الامير



جامع الامير منذر، سنة ١٩١٥

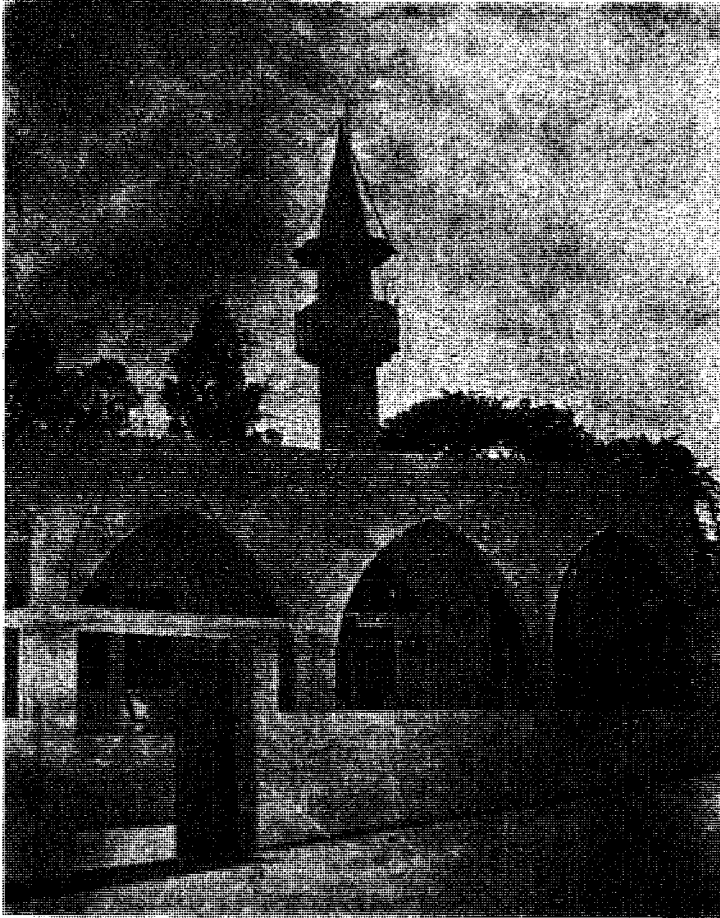
المذكور في القرن السابع عشر للميلاد. ويعرف ايضاً بجامع النوفرة بسبب وجود بركة ماء قديمة في وسطه للوضوء تتخللها نوفرة. وهذا المسجد له مدخلان من الجهة الشرقية والغربية، ويشتمل على عدة غرف كانت مخصصة للتدريس سابقا. وفي ١٦ حزيران سنة ١٩٣٦ وبموجب المرسوم الجمهوري رقم E٦١٢، اصبح من الابنية الأثرية. وبموجب المرسوم الجمهوري رقم k٤٩٠٤، الصادر بتاريخ ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٤٦، منع انشاء بناء جنوبي الجامع وانشئت فيه حديقة.

اما جامع حنتوس الواقع في قرية حنتوس سابقا، جنوب غربَ بيروت والمعروف اليوم بمقام الأوزاعي المتوفي سنة ٧٧٤م. فيعود الفضل في بقاء هذا الجامع قائما حتى الآن الى المسيحيين: اذ يقول الشيخ طه الولي

في كتابه المساجد والجوامع الشريفة، في بيروت صفحة ٣٦: «ولا بد لنا من الاشارة في هذه المناسبة الى أننا في الواقع مدينون ببقاء هذا الجامع الاثري القديم الى اسلاف مواطنينا نصارى جبل لبنان الذين كان لهم الفضل الاكبر في اقناع ابناء ملتهم من الصليبيين الأوروبيين بأن يستثنوا الجامع المذكور من التخريب الذي تناولوا به سائر المساجد والمؤسسات الاسلامية، عندما اجتاحوا بيروت في حملتهم الأولى، وكان موقف مواطنينا النصارى في ذلك الحين تعبيرا عن وفائهم لحرمة الامام الأوزاعي المدفون في الجامع، الذي انتصر لآبائهم خلال الازمة التي تعرضوا لها مع الوالي العباسي صالح بن علي، ايام الخليفة ابي جعفر المنصور».

وهذا الجامع لا يزال قائما في مكانه حتى اليوم، وقد صنفته المديرية العامة للآثار في عداد الآثار التي يجب الحفاظ عليها. كما رمم هذا الجامع عدة مرات. وسنة ١٩٥٤، أنشأت في المحلة ذاتها، مؤسسة الخدمات الاجتماعية بإشراف الدكتور محمد خالد، الجامع الجديد بموجب اتفاقية بينها وبين مديرية الاوقاف الاسلامية، باعتبارها مالكة للأرض. كما شيد امام الجامع ضريح رياض الصلح رئيس مجلس الوزراء، وأضرحة عدد كبير من الشخصيات الاسلامية البيروتية، امثال محمد توفيق خالد مفتي الجمهورية اللبنانية، وتوفيق الهبري، والشيخ محمد علايا، وحسن بحصلي وغيرهم من الشخصيات الدينية والاجتماعية والسياسية.

وجامع الخضر يقول عنه داود كنعان في مقاله «جواهر الياقوت في تاريخ بيروت»، المنشور في مجلة الجنان صفحة ٣٧٥ المجلد ١١، والأب لويس شيخو في كتابه «بيروت تاريخها وآثارها» صفحة ٨٦.



جامع الخضر

إن هذا المسجد كان في الأصل مزارا او كنيسة للموارنة باسم القديس جرجس، وأن علي باشا دفتر دار بيروت، انتزعها من اصحابها سنة ١٦٦١، لعجزهم عن دفع الضرائب المفروضة عليهم، وضبط ارزاقها وحولها الى جامع. ويقول عبد الرحمن الحوت في كتابه «الجوامع والمساجد الشريفة في بيروت»: يقع جامع الخضر عليه السلام في شارع كورنيش الخضر في مدخل بيروت الشرقي، وقد انشىء في عهد الدولة العثمانية على العقار ٣٥٣ في منطقة المدور وتبلغ مساحة الأرض ٧٧٢٤ مترا مربعاً، وأنشئت بجوار الجامع مدرسة الخضر عليه السلام، والتي أنشأها المرحوم رياض الصلح والمرحوم الشيخ محمد توفيق خالد. وكان في تلك المنطقة من قديم الزمان مزارا شعبيا صغيراً، يعتقد أن في ذلك المكان قتل مار جريس التنين الذي كان يروع المدينة حين كان يقدم له في كل عام بنت من بنات بيروت، صفحة (٥٠ - ٥١)».



درب النهر عام ١٩٠٠، مدخل شارع غورو اليوم

وقد جددت مديرية الأوقاف الاسلامية هذا المسجد ورممته سنة ١٩٥٢، ثم اضافت اليه بعض الغرف سنة ١٩٥٧، واصبح بموجب قرار وزارة التربية الوطنية رقم ٩٢٧ تاريخ ٢٧ / ١١/ ١٩٦٢، من الأبنية الأثرية .



جسر بيروت عام ١٩٢٠

ومن كنائس بيروت، كاتدرائية مارالياس للروم الكاثوليك وقصتها: أنه في الفترة الممتدة بين سنة ١٧٢٤ ـ ١٧٣٠، شعرت الرهبانية الشويرية، بعد ان انسلخت عن الأرثوذوكسية، أنها بحاجة ماسة الى اقامة وكالة لها في بيروت مع كنيسة صغيرة لخدمة الطائفة الناشئة حديثا. فعهدت عمدة الرهبانية الى الخوري نقولا الصايغ بهذه المهمة. فأنشأ وكالة للرهبانية والى جانبها كنيسة صغيرة.وقد تحولت هذه الوكالة وهذه الكنيسة في الآونة الأخيرة الى محل تجاري.

غير أن مطران الطائفة المذكورة كيرنا وفيطوس نعمة، ما لبث ان اصيب بمرض في عينيه ادى الى فقدان بصره، حينئذ تنبه آل دهان وغيرهم من ابناء الطائفة الملكية، امثال آل يارد فأحاطوا الأسقف المريض بعناية كبرى واكتسبوا ثقته. وبحماية الامير ملحم شهاب حاكم لبنان في ذلك العهد، استطاعوا ان يقنعوا الأسقف الضرير بالاستقالة من كرسي ابرشية بيروت وذلك في سنة ١٧٣٦، لصالح راهب شويري من عائلتهم هو الخوري يواساف دهان الذي رقاه الى الدرجة الأسقفية، البطريرك كيريلس السادس طاناس على مذبح كاتدرائية القديس جاورجيوس للروم الأرثوذوكس في مدينة بيروت، واطلق عليه اسم اتناسيوس .

ولم تعد الكابلأ، المذكورة اعلاه، التي شيدها الخوري نقولا الصائغ تفي بحاجة الرهبانية والمؤمنين، فاضطر المطران الجديد الى بناء كنيسة اكبر وذلك في مطلع

اسقفيته التي دامت من سنة ١٧٣٦ ـ ١٧٦٠. وقد اطلق عليها اسم كنيسة الرهبان نظرا الى مساهمة هؤلاء في تقديم ارضها الموهوبةلهم سابقا من آل دهان وخدمتهم لها مدة طويلة.

وبعد انقضاء ما يقارب المائة سنة على بناء هذه الكنيسة، وبعد ان عم الأمان البلاد، وانطفأت نار الانقسامات، وتقدمت بيروت في معارج العلوم والتجارة، وبدأت فيها الطوائف المسيحية بتشييد كاتدرائياتها، عزم كيراغابيوس الرياشي اسقف بيروت للروم الكاثوليك في ذلك العهد سنة (١٨٢٨ ـ ١٨٧٨)، على بناء كاتدرائية عصرية فخمة تجمع بين جمال الهندسة البيزنطية وزخرف البناء الشرقي، فكانت الكاتدرائية الكبرى التي تعتبر من اجمل كاتدرائيات بيروت.

وقد تم بناؤها وبناء الدار الأسقفية الملاصقة لها سنة ١٨٤٩، في ساحة النجمة على العقار رقم ٣٤٥، منطقة المرفأ وكذلك بنت الرهبانية الشويرية انطوشها الشهير الى جانب المطرانية. وقد ضرب التخطيط هذا الانطوش في ساحة النجمة منذ سنة ١٩٢٩.

اما كنيسة المخلص الحالية الواقعة في شارع رشيد الدحداح، فقد تم تشييدها سنة ١٨٩٠، في عهد المطران ملاتيوس فكال، بمساهمة ابناء الطائفية الملكية. وتخليدا لذكرهم، ألصقت على جدرانها لوحات من الرخام حفرت عليها اسماؤهم، وقد كتب على باب الكنيسة تاريخ انشائها في بيتين من الشعر جاء فيهما:

ملاتيوس حبرنا انشأ بهمته

باسم المخلص بيتا باهر النور

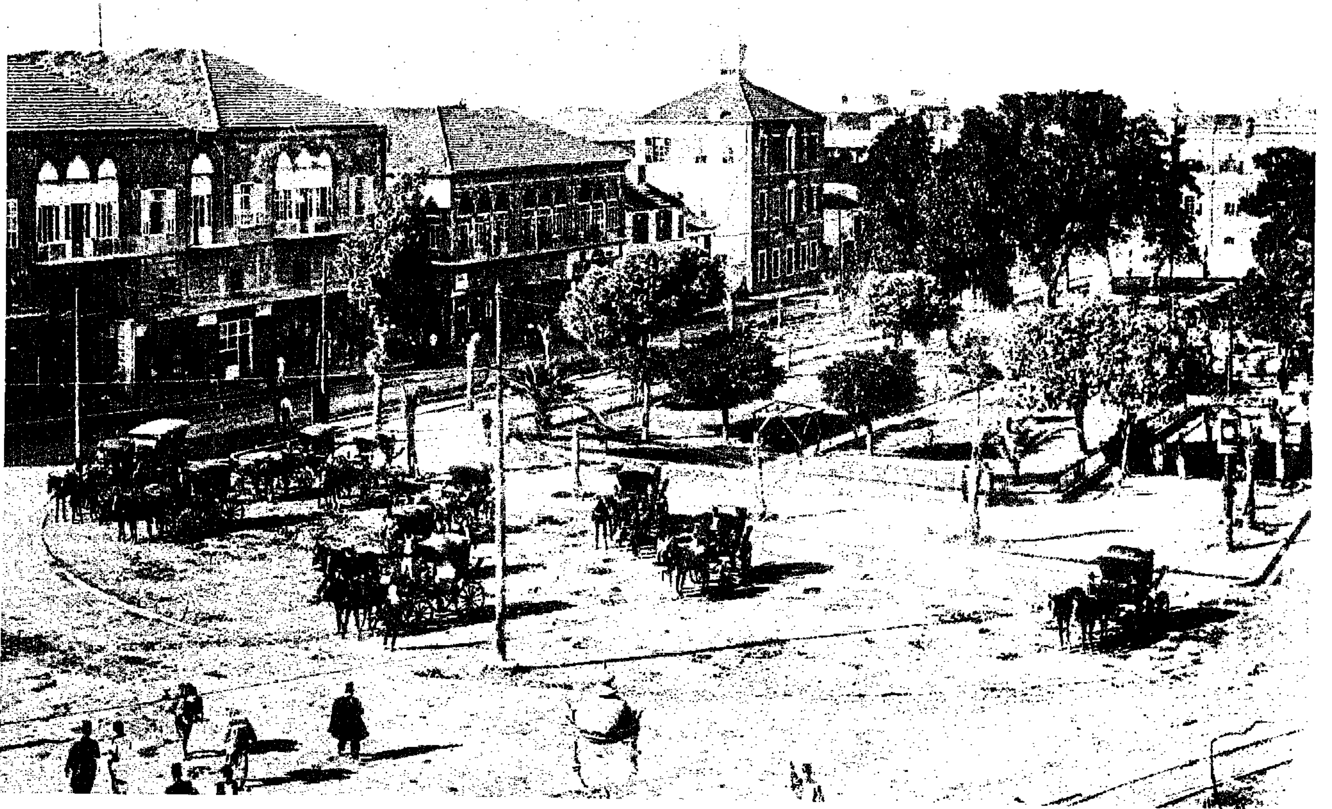
فاهبط بروحك في التاريخ وابر به

بالمجد يا من تجلى في ذرى الطور.

وبقيت دار المطرانية ورعيتها ملاصقة لكاتدرائية مار الياس في ساحة النجمة منذ سنة ١٧٣٦ حتى سنة ١٩٤٨، تاريخ تدشين الدار القائمة حالياً. وذلك أنه لما اعتلى المتروبوليت مكسيموس صائغ كرسي بيروت سنة ١٩٣٣، وقع اتفاق مخالصة مع الرهبانية الشويرية. قضى باحتفاظ المطرانية بالملكية مقابل تعويض عادل على الرهبانية. ثم توصل الى اتفاق مع البلدية بشأن الاستملاك، فوقع معها عقد بيع وشراء بقيمة ١٢ الف ليرة ذهبية. واشترى ارضا، بمواجهة معهد الطب الفرنسي على طريق الشام، كانت معروفة بأرض القلة او بكراخنة نصر، وبدأ بناء دار جديدة للمطرانية مع الكنيسة سنة ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨، وكان يوم التدشين في ٥ حزيران سنة ١٩٣٨.

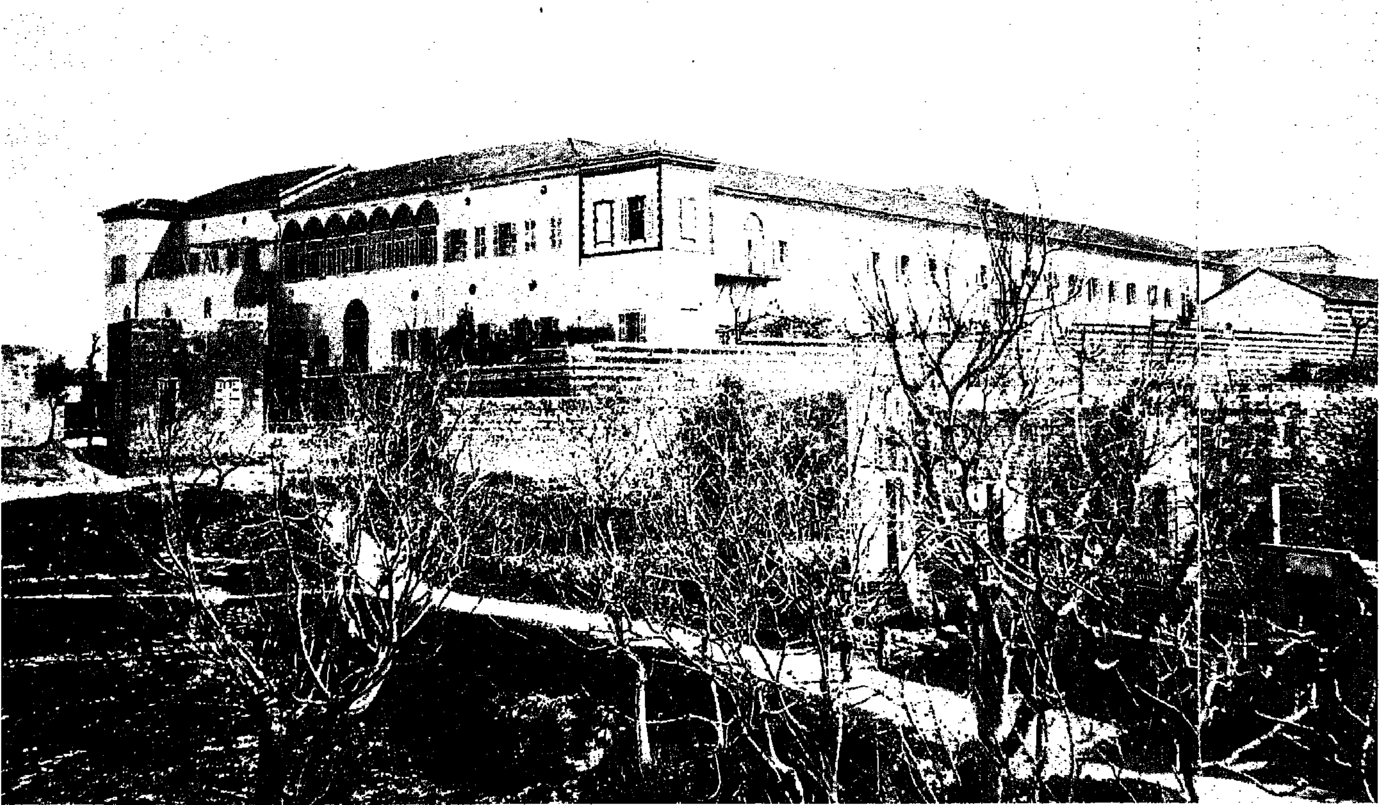
المعالم والآثار الروحية في مدينة بيروت.

بعد حوادث سنة ١٨٦٠، بلغت بيروت اوج رقيها دينا وادبا، فقبل ذلك العام لم يستوطنها من الأساقفة المسيحيين غير رئيسي اساقفة بيروت على الروم الكاثوليك والروم الارثوذوكس. ولكن بعد حوادث تلك السنة، اصبحت بيروت مركزا للقصاد الرسوليين الذين كانوا سابقا، يسكنون في عينطورة وزوق مكايل. فاتخذوا لهم دار واسعة قريبة من ساحة الشهداء من الجهة الشرقية . ثم باعوها وانتقلوا الى رأس بيروت.

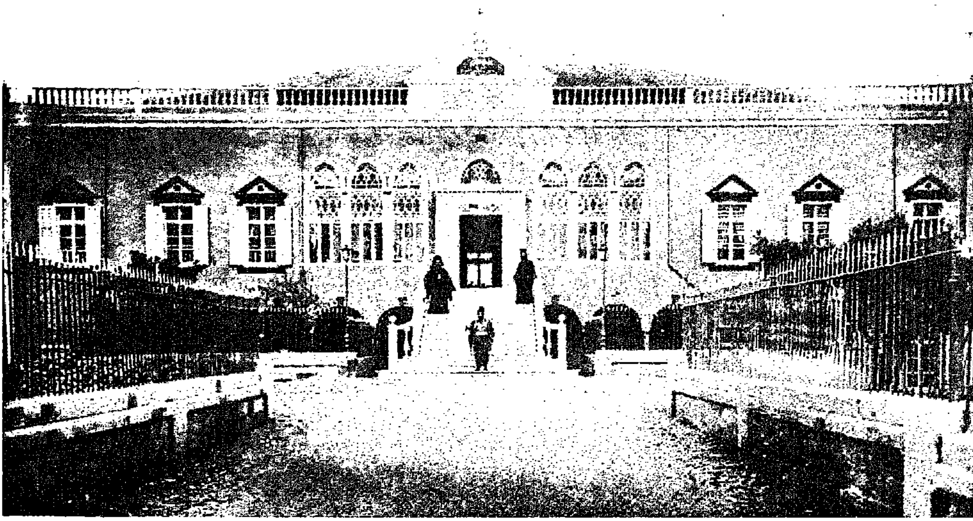


ساحة الشهداء أو ساحة البرج ١٩٢٥

وكذلك رؤساء اساقفة الموارنة عدلوا عن السكن في عين سعادة واستوطنوا بيروت، كرسي اسقفيتهم منذ المطران طوبيا عون.واتخذ تاوفيلوس قندلفت بيروت مركزاً للنيابة البطريركية السريانية، منذ جعل البطريرك اغناطيوس الثاني، البطريرك الانطاكي، بيروت مركزا لسكناه بتفويض من الكرسي الرسولي. كما سكن بيروت اسقف ارمني كاثوليكي، ونائب بطريرك للطائفة الكلدانية.



مطرانية بيروت المارونية ومدرسة الحكمة

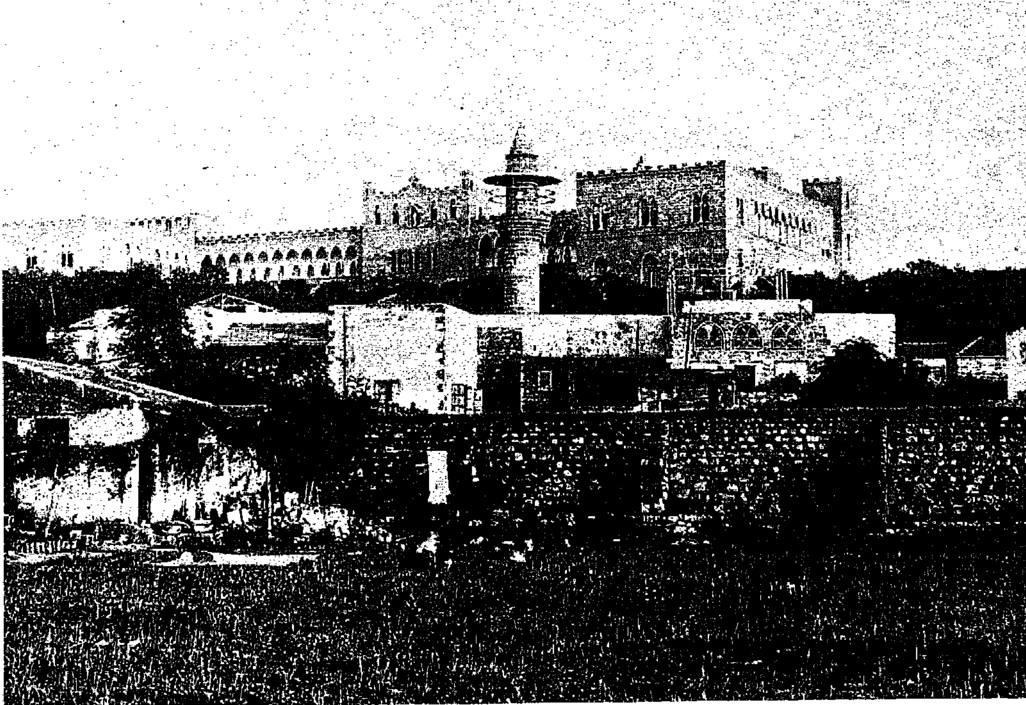


مطرانية الروم
الأرثوذكس ١٩١٠

واما الارساليات اللاتينية، فبعد الفرنسيسكان والكبوشيين واللعازاريين واليسوعيين، اتى اخوة المدارس المسيحية سنة ١٨٨٩، وعمروا فيها مدرسة على طريق النهر، ومدرسة ثانية في رأس بيروت، مع تعليمهم الفقراء في مدرسة جمعية مار «منصور دي بول».

كنيسة مار لويس والمستشفى العسكري والسراي الكبير.

اما الراهبات كما يقول الاب لويس شيخو اليسوعي: «فلم يكن منهن في بيروت سنة ١٨٦٠، غير راهبات المحبة، وكانت راهبات مار يوسف الظهور. حللن زمنا ببيروت سنة ١٨٤٧، ثم غبن عنها الى سنة ١٨٧٢، فعدن اليها بدعوة السيد «يوسف فالركا» (بيروت تاريخها وأثارها صفحة ١٠٨) وسبقتهن سنة ١٨٦١، الراهبات المريمات المعروفات براهبات يسوع ومريم، وتبعتهن سنة ١٨٦٨، راهبات الناصرة وسكنَّ مدةً شرقي دار موسى فريج، ثم انتقلن الى ديرهن بجوار الاشرفية.



مدرسة راهبات الناصرة ويظهر أمامها جامع الأشرفية (١٩٠٥)

وأما راهبات العائلة المقدسة، فقد قدمن سنة ١٨٩٤، بدعوة من المطران يوسف الدبس. ثم بدأت الجمعيات الرهبانية الأجنبية والوطنية بالتوافد الى مدينة بيروت، وتعمير الأديرة والكنائس والمدارس فيها، اضافة الى الارساليات الاميركية والبروتستانتية التي تنتمي الى مذاهب مختلفة كاللوثرانيين، والانكليكان، الاسكتلنديين، والمعمدانيين. وبتوفر السكان توفرت المعابد الدينية، فبعد كنيسة النبي الياس للروم الكاثوليك وكنيستي مار لويس للكبوشيين والحبل بلا دنس للآباء اللعازاريين، شيدت على أثر حوداث سنة ١٨٦٠، كنائس أخرى. وفي سنة ١٨٧٥، شيد الآباء اليسوعيون كنيسة القلب الأقدس، وابتنى

الموارنة كنيسة مارمارون، ثم كاتدرائية مار جرجس بهمة المطران يوسف الدبس، واقام السريان كنيسة القديس جرجس، والأرمن كنيسة مار الياس..

هذا بالاضافة الى الكنائس والمعابد ضمن الأديرة والمدارس. وجدد الروم كنيستهم الكبيرة في حي المعرض على اسم مار جرجس وزينوها بالصور

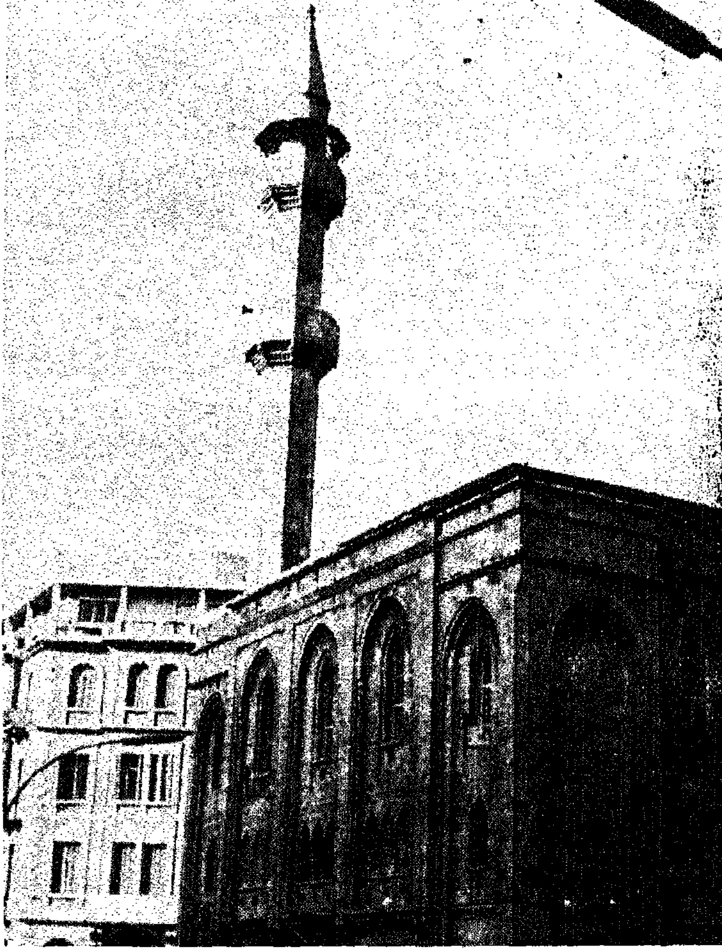


شارع المعرض (١٩٢٠)

والايقونات البديعة. وعني الاميركان بهندسة كنيستهم الملاصقة لمطبعتهم القديمة، واقاموا في الكلية الانجيلية السورية (الجامعة الاميركية حاليا) كنيسة واسعة للطلاب شبيهة بقاعة كبرى.

هذا ولم يَسْهُ المسلمون عن مبانيهم الدينية فشادوا مساجد في البسطة ورأس بيروت وتحت دير الناصرة وفي منطقة الحرج وغيرها... نذكر منها:

جامع ابو بكر الصديق: يقع في منطقة ميناء بيروت آخر شارع فوش والمارسلياز. انشىء بدلا من جامع الدباغة الذي هدم بسبب توسيع الطريق وكان الجامع المذكور قد انشىء سنة ١٢٩٤ هـ/ ١٨٧٧م وأعيد بناؤه سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م بعد هدمه من قبل بلدية بيروت.



جامع أبو بكر الصديق

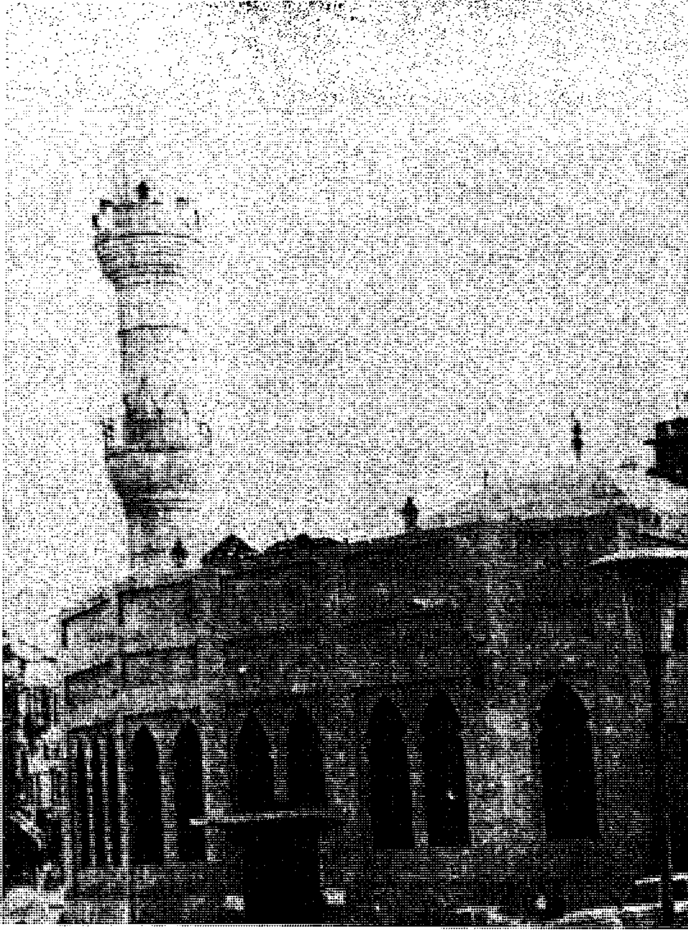
يشتمل هذا الجامع على طابقين لاداء الصلاة ومأذنة من الحجر النحت الأصفر ثلاثية الشكل، ويدعى ايضا بجامع الدباغة، نظرا لتسميته القديمة.

جامع المجيدية: في وسط مدينة بيروت بمحلة تسمى ميناء الخشب انشيء سنة ١٢٨٠ هـ/ ١٨٦٣م، بأمر من السلطان عبد المجيد الثاني، وكان قبل ذلك قلعة عسكرية على سور مدينة بيروت جدد بناؤه سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م.

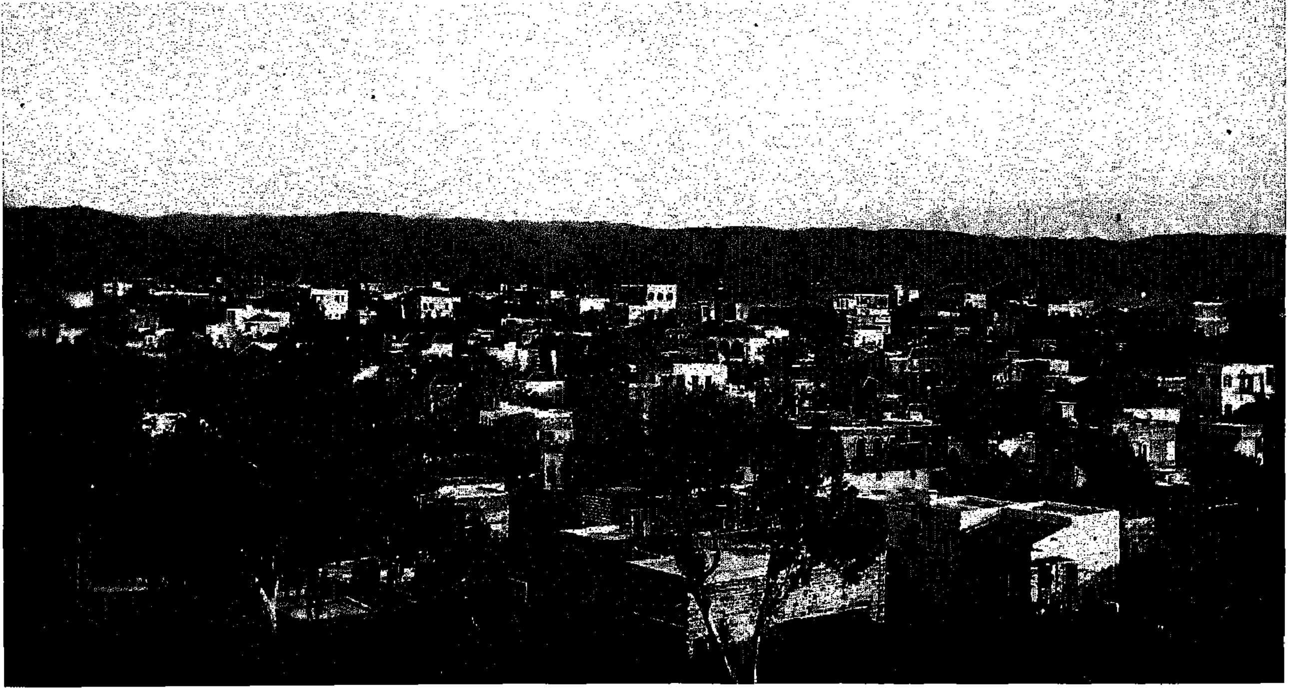
جامع زقاق البلاط: يقع في شارع موريس باريز وفؤاد شهاب في محلة زقاق البلاط، انشىء سنة ١٣١١هـ / ١٨٩٣م، بمساعي الشيخ عبد الرحمن الحوت واهل الخير. جددت مديرية الأوقاف الاسلامية

في بيروت بناءه سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م، باشراف عضو المجلس الاداري عبد الرحمن القعّار.

جامع البسطا التحتا: يقع في حي البسطة التحتا في بيروت على مفترق شوارع عبد الله خالد - عمر حمد - الأوزاعي - أنشأه سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥م الشيخ عبدالله خالد واهل الخير، وسنة ١٢٧٥ هـ/١٨٥٨م. انشئت المأذنة واكتمل البناء. سنة ١٢٨٢/ ١٨٦٥م، أوقف الأرض الحاج محمد بيضون. جرى توسيعه وجددبناؤه ما بين١٩٦٤م / ١٣٨٤هـ إلى ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م. وأنشأت بلدية بيروت حديقة عامة امامه.

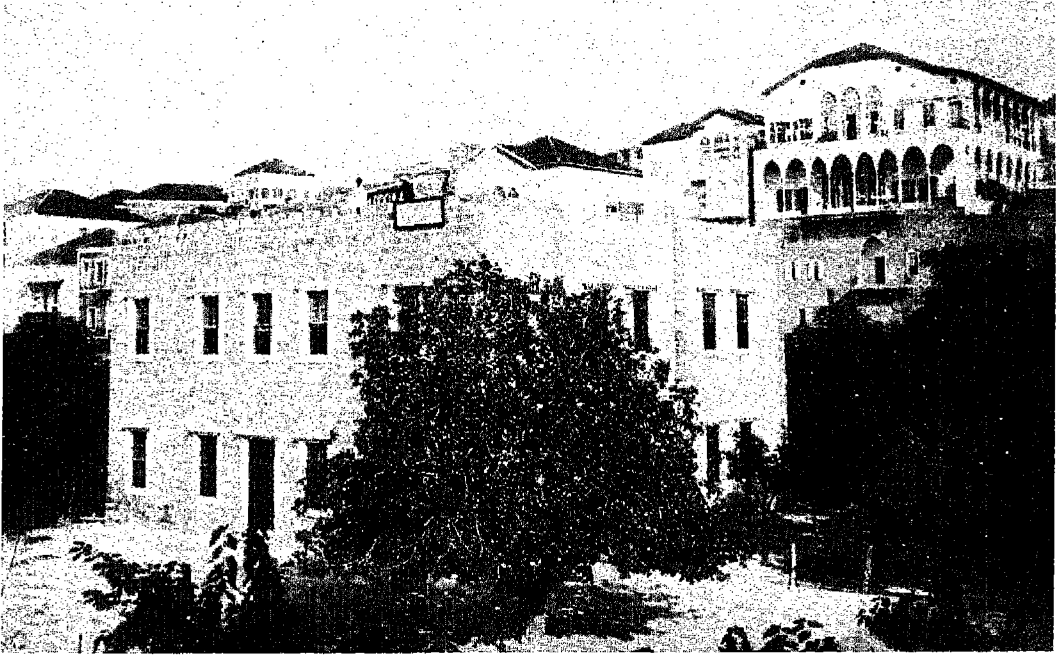


جامع البسطة التحتا



حي البسطة ١٩٣٠

جامع الحرج: في آخر شارع الأوزاعي في وسط حرج بيروت تحيط به اشجار الصنوبر. وبجانبه كلية الحرج التابعة لجمعية المقاصد الاسلامية، وبيت الأطفال . انشيء على نفقة حسن الحلبوني والحوري بمسعى الشيخ عبد الرحمن الحوت سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م تتولى ادارته جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت.



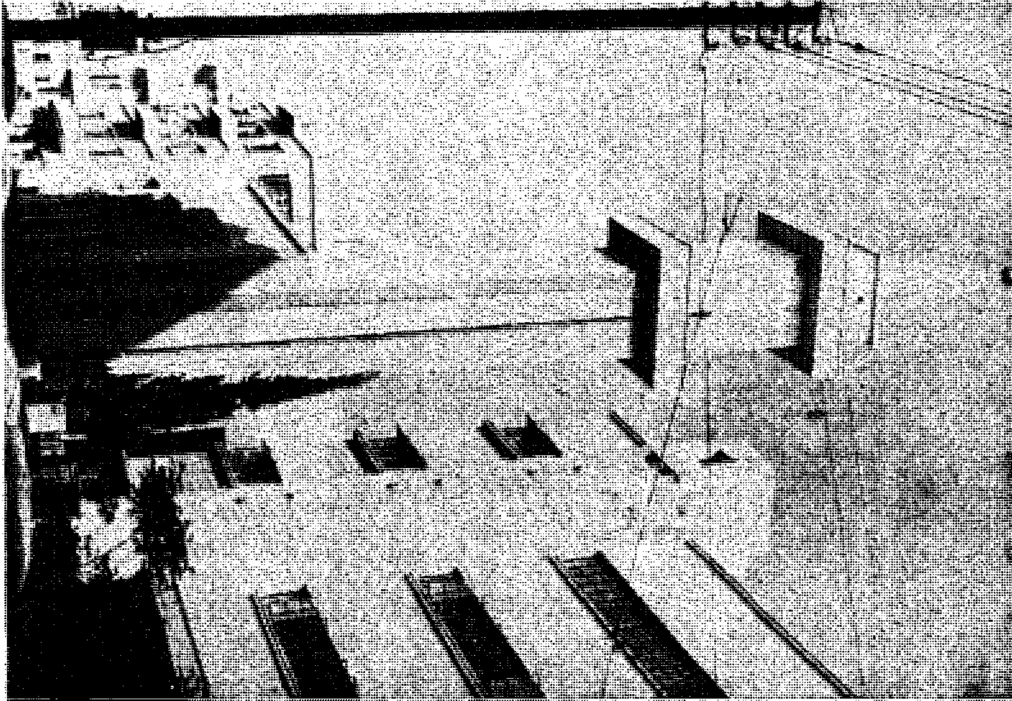
المدرسة الأهلية ١٩١٠

جامع الامام علي: في منطقة الطريق الجديدة، في شارع البستاني انشيء سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣٥م، من اموال اهل الخير بمساعدة جمعية البر والاحسان في الطابق الأرضي منه، من الجهة الجنوبية، احدثت مدرسة بإشراف جمعية التعليم والارشاد، اوقف الأرض ابو حسن زين البيروتي واوقف قطعة ارض مساحتها ٤٠٠ ذراع، الرئيس الراحل عمر الداعوق وضمت الى الجامع.

جامع الحسنين: شارع سيف الدين الخطيب رأس النبع الشرقي. انشيء سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥، موقوف من قبل الحاج علي العلالي بإشراف عمر الداعوق ومصطفى الشلاح والشيخ مختار العلايلي. سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م ، أنشأت الأوقاف الاسلامية وبعض المحسنين الصحن الخارجي وهو يقع تحته مخازن ومستودعات.

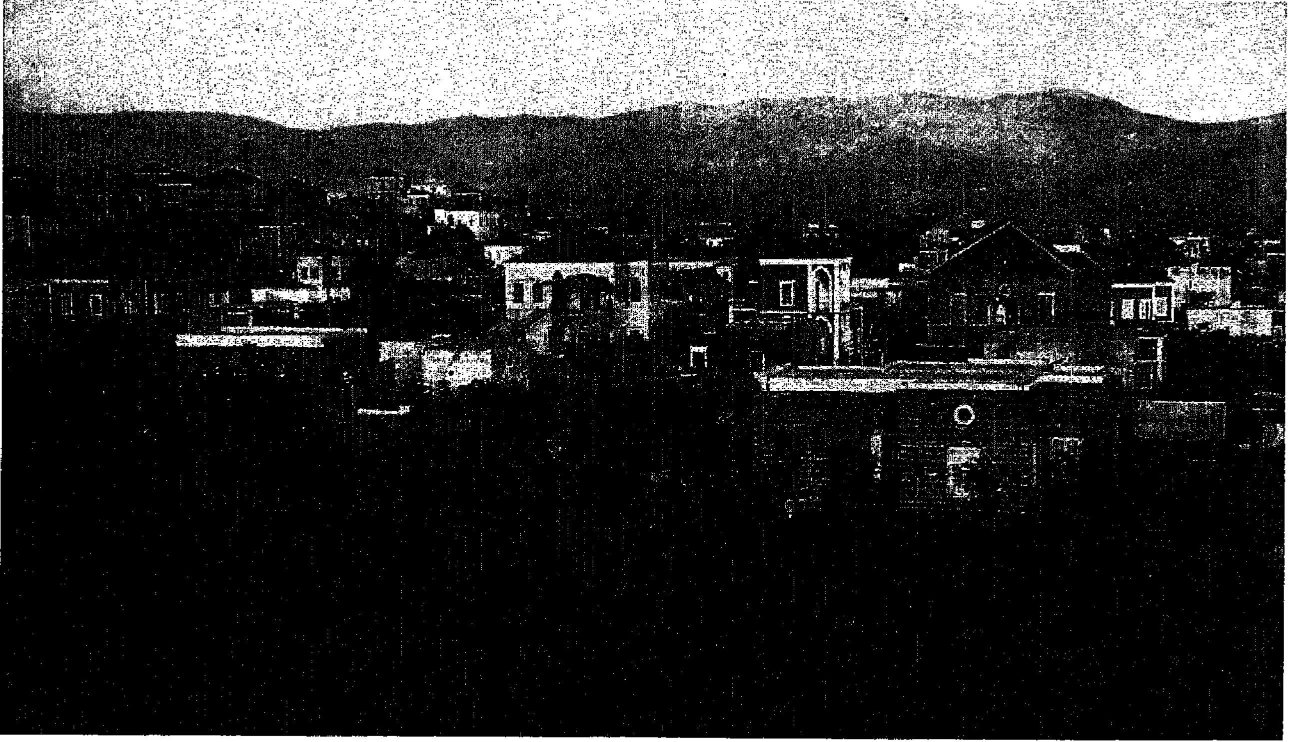
جامع علم شرق: يقع في شارع سيف الدين

الخطيب، في الاشرفية، انشيء سنة ١٢٩٧ هـ/١٨٧٩م. سنة ١٣٧١هـ/١٩٥١م هدم المسجد القديم وانشيء على طراز اندلسي بمساعي الرئيس رياض الصلح والشيخ محمد توفيق خالد. وساهم بالإشراف والنفقات درويش بيضون مع بعض المحسنين ضمن لجنة تشكلت من الشيخ محمد العثماني محمد شاكر بيضون، الحاج احمد بيضون، الحاج الصيداني. وفيه نقوش اندلسية تشبه نقوش دار الفتوى، نقشها الفنان علي العريس سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ثم قام السيد ابراهيم الكعكي برفع المأذنة بعلو عشرة امتار على نفقته الخاصة بمبلغ ١٨ الف ليرة لبنانية.



جامع علم الشرق

جامع المصيطبة: في محلة المصيطبة تجاه منزل الرئيس صائب سلام. شيد سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م في عهد الوالي العثماني في بيروت «حمدي باشا» الذي تبرع براتبه طيلة مدة بنائه وذلك بإشراف وتولية الحاج ابراهيم الطيارة. وساهم آل بيهم في شراء الأرض.



حي المصيطبة في بيروت ١٩٢٠

الى غير ذلك من الجوامع والتكايا والزوايا.

كما عرفت بيروت القديمة نوعا من المعابد الاسلامية تسمى المصلى شأنها في ذلك شأن المدن الكبيرة في سائر الأقطار الاسلامية، والمصلى عبارة عن ساحة واسعة من الأرض تقع عادة في ظاهر المدينة. حيث لا يوجد عمران ولا سكان، يتداعى اليه المسلمون من كل ناحية من انحاء البلد ويقفون جميعا بين يدي الله في المناسبات والمواسم الدينية المختلفة التي تمر بهم بشكل دوري على مدار السنة، او تواجههم لأسباب طارئة مثل: صلاة العيدين الفطر والأضحى، وصلاة الاستسقاء عند انحباس المطر وصلاة الشكر عند انفراج الكروب، وقد عرفت بيروت هذا النوع من المعابد مثل ساحة باب المصلى التي اصبح اسمها فيما بعد باب السرايا، لوقوعها بجوار سور المدينة قرب سراي الأمير منصور عساف التركماني.

وكانت ساحة باب المصلى تقع عند مدخل بيروت الشرقي، وكان البيروتيون يؤمون هذه الساحة بعد ان تفرشها ادارة الأوقاف بالحصر الهندية. وكان يفرش

لأرباب الوجاهة واصحاب المناصب العالية سجادات صلاة كل حسب مكانته الاجتماعية ومنصبه الحكومي، ويقول الشيخ طه الولي في كتابه تاريخ المساجد والجوامع الشريفة : «وكان يؤتى الى ذلك المكان بمنبر نقال من الخشب للخطيب، وبعد الانتهاء من الصلاة يقبل الاهلون على معايدة بعضهم.... اما في غير اوقات الصلاة فكانت ساحة المصلى ميدانا يقصده الاحداث من ابناء المحلات والاحياء المجاورة لجامع السراي وسوق الفشخة (صفحة٥٩)..

ولعل آخر ما بقي عالقا بأذهان المعمرين البيروتيين من معالم ساحة المصلى، هو الفسحة الصغيرة التي بقيت منها حتى اوائل هذا القرن حيث كانوا يجتمعون لاقامة الجنازة على موتاهم والتي كانت تسمى جبانة باب المصلى.

اما المدارس الدينية والزوايا ، فقد عرفت بيروت القديمة هذا النوع من المعابد التي كان يبنيها بعض اهل الثروة قرب الأسواق، لتمكين التجار في هذه الأسواق من القيام بواجباتهم الدينية بالقرب من اماكن عملهم.. وهذه المعابد لم تكن في الواقع اكثر من غرفة صغيرة، تعلوها قبة ،واحيانا تكون غرفة بدون قبة، ولكنها كانت دائما خالية من المأذنة والمنبر. فالمدرسة كانت تستعمل لتعليم الناس امور الدين وبعض العلوم المدنية. اما الزاوية فكانت مقرا لأهل الطرق من المتصوفين الذين يجتمعون مع اتباعهم ومؤيديهم، لاقامة حلقات الذكر وغير ذلك من الطقوس الخاصة بهم. وكانوا يطلقون على مثل هذه الزاويا اسم الحضرة لأنهم كانوا يقيمون الذكر في داخلها، وهو مايسمى بالحضرة، فأطلق هذا الاسم على الزوايا نفسها. واهل بيروت



سوق سرسق أوائل هذا القرن.

يلفظونها «الحدرة». والآن تحول اكثر هذه الزوايا الى مساجد ودكاكين تجارية.

والمدرسة الزاوية الوحيدة التي ما تزال موجودة في بيروت من الناحية الشكلية ، هي مدرسة «ابن عراق» وقد تحولت الآن الى دكان تجاري لبيع الخردة النسائية وتقع في الجهة المقابلة لجامع الامام الاوزاعي بسوق الطويلة.



محلات أوروزدي بك أو عمر افندي (١٩٠٥)

ومن تقاليد البيروتيين في مساجدهم أن المسجد كان محورا يقصدونه ويجتمعون فيه وينطلقون منه. فهذا المكان المختار للتعبير عن الافراح والأتراح. وكانت العادة في بيروت قديما، أنه اذا أراد اهل البلد وداع بعض العلماء او الأعيان ممن كانوا يزورونهم في

بلدهم، تنادوا الى الصلاة الجامعة عند عشاء اليوم الذي يسبق سفرضيفهم، حتى اذا قضيت الصلاة اقبلوا عليه معربين له عن عواطفهم وتحياتهم وتمنياتهم، ثم انصرفوا بعد ذلك الى بيوتهم.

والخلايا الاجتماعية عرفتها بيروت خلال السنوات الأخيرة ومفردها خلية، وهذا النوع من المساجد عبارة عن مؤسسة اسلامية روعي في بنائها، ان تكون مشتملة على مكان لإقامة الصلاة وقاعة لعقد الاجتماعات العامة وإلقاء المحاضرات الثقافية ، وغير ذلك من النشاطات الأهلية كإجراء عقود الزواج والاحتفال ببعض المناسبات القومية واستقبال الشخصيات المرموقة.

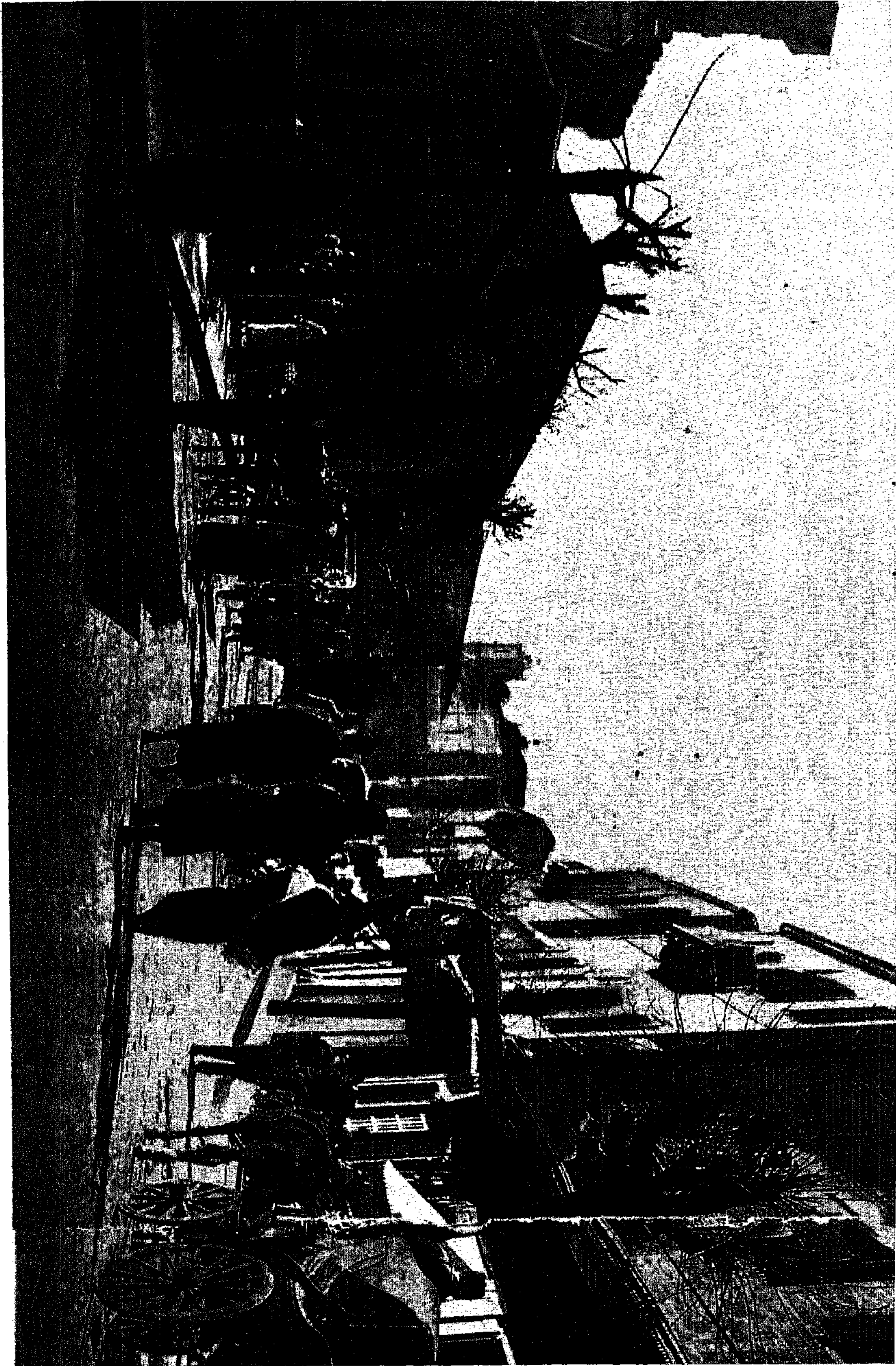
ومن أهم الخلايا الاجتماعية في بيروت خلية الملك سعود الاجتماعية، خلية حسين مكاوي الاجتماعية، خلية شهاب الاجتماعية، خلية عمر شاتيلا الاجتماعية ، وخلية المزابطين وغيرها ...



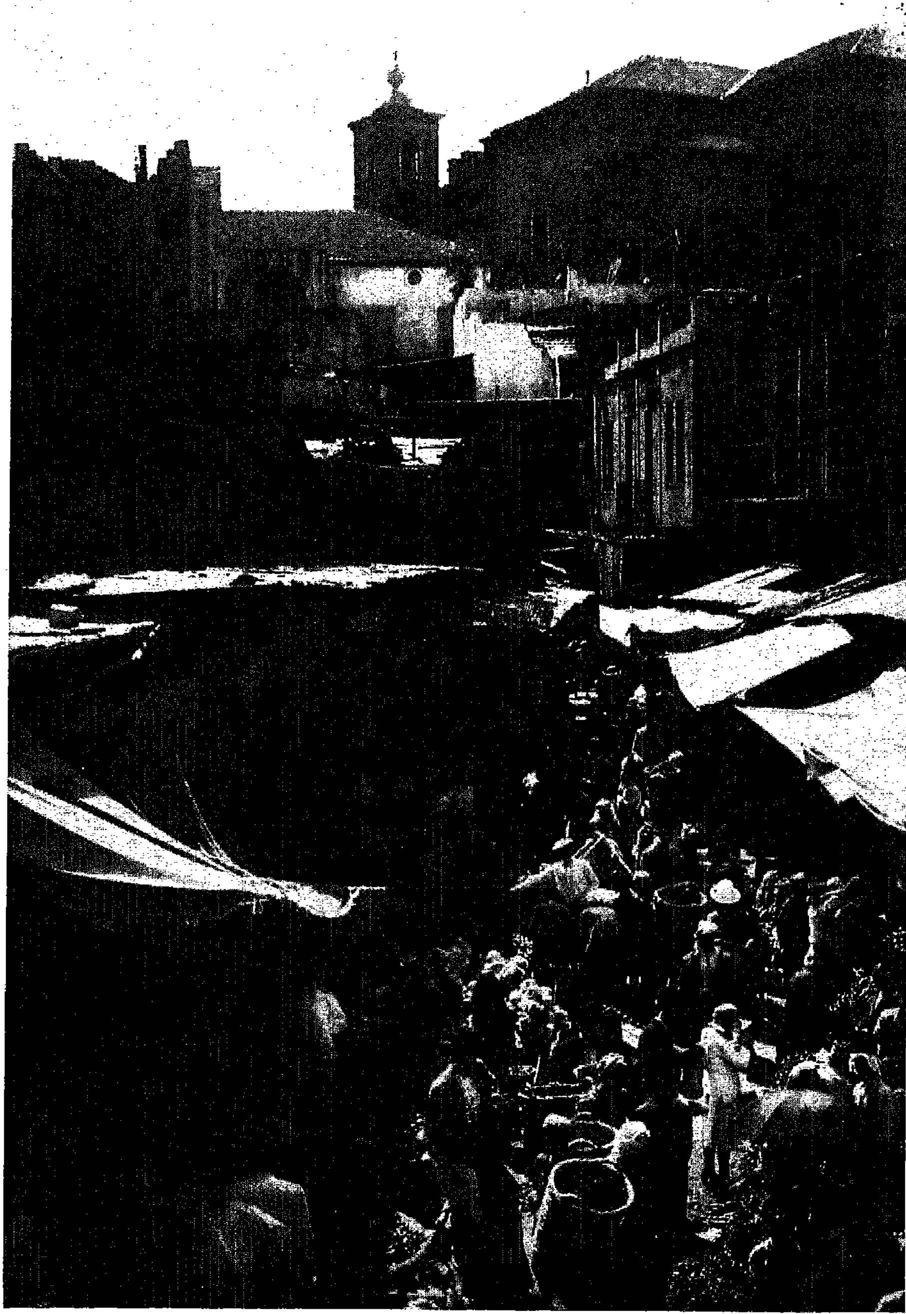
جامع عائشة بكار حديثاً



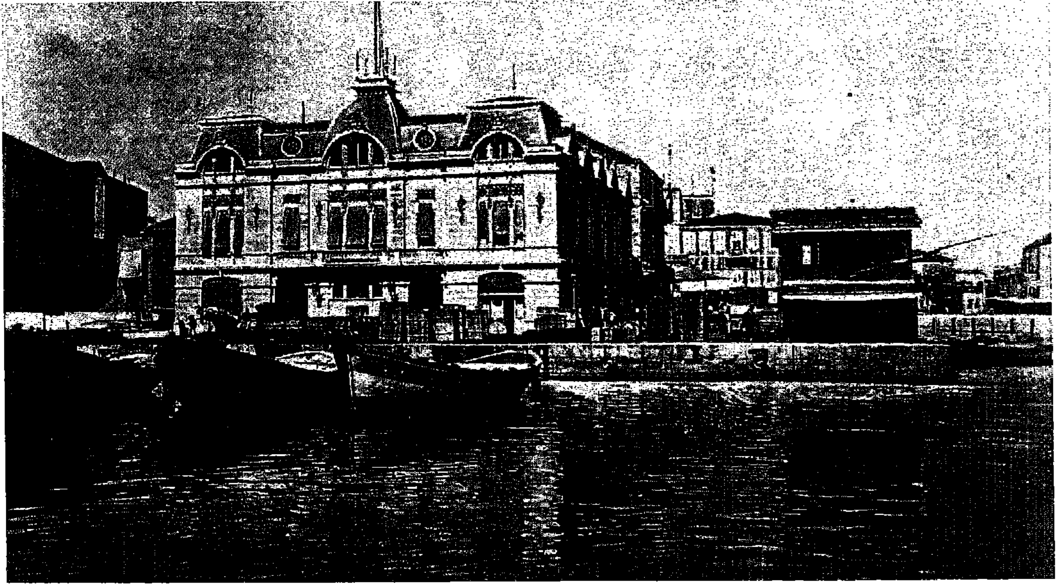
باب يعقوب ١٩٠٠



شارع السراي ١٩٠٥



سوق النورية ١٩٣٠



المصرف الأمبراطوري العثماني قرب المرفأ

مراجع البحث

- الجوامع والمساجد المشرفة في بيروت:

عبد الرحمن الحوت - مطبعة المقاصد الاسلامية.

تاريخ المساجد والجوامع في بيروت - الشيخ طه الولي / مطابع دار الكتب

- بيروت تاريخها وآثارها - الاب لويس شيخو اليسوعي - المطبعة الكاثوليكية.

- مجلة المشرق سنة ١٩٣٣. المجلد ٣١

- فتوح البلدان - البلاذري

- تاريخ بيروت - صالح بن يحي (الاب لويس شيخو اليسوعي)

- بيروت في التاريخ - داوود كنعان - بيروت

- لبنان في التاريخ - فيليب حتي. دار الثقافة.

- مجلة الجنان - مجلد ١١ - السنة الاولى.

- تسريح الابصار - الاب لامنس اليسوعي /

- الآثار الاسلامية في القرن الثامن عشر صلاح الدين المنجّد /

- تاريخ بيروت - عصام محمد شبارو - دار مصباح الفكر

- مطرانية بيروت للروم الكاثوليك - المطران حبيب باشا

- تاريخ الرعايا -

- مساجد بيروت / لمعي صالح مصطفى.

التاريخ الثقافي لمدينة بيروت
منذ مطلع القرن التاسع عشر
المدارس والجامعات.

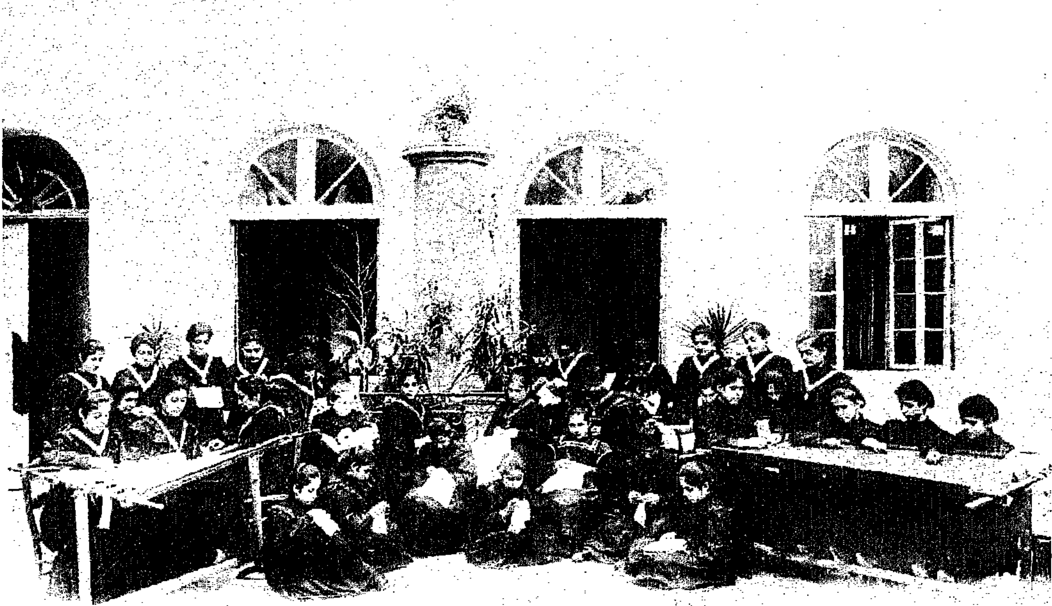
كانت الأحوال في لبنان ، على عكس ما كانت في غيره من البلاد العثمانية، مؤاتية للتقدم والتطور، فقد ضمن اللبنانيون قدرا من الحرية لم يعرفه سواهم من رعايا السلطنة العثمانية ، كما أن استتباب الأمن ما بعد حوادث سنة ١٨٦٠، شجع على فتح المدارس الثانوية والكليات العالية وتأسيس الجمعيات العلمية والأدبية، والإكثار من عدد المطابع والمجلات والجرائد، فأصبحت بيروت مركز الفكر الحديث في الشرق العربي، ومبعث العلوم العصرية، ومنشأ رجال الصحافة وكتّاب الأدب والسياسة. وقد ساعد على ذلك موقع لبنان الجغرافي الذي يجعله منفتحا على جيرانه وعلى أقطار أخرى بعيدة، ولا سيما الأقطار الأوروبية منها. والاستقلال التام او الجزئي الذي كان امراء لبنان وحكامه يتمتعون به، ويحافظون عليه خصوصاً منذ الفتح العثماني حتى نهاية القرن التاسع عشر. وقد كان هؤلاء الامراء حريصين على ان يكون لكل منهم كاتب او مدير اعمال، كما اقترح بعضهم بأن يكون في بلاطه اهل علم وادب وشعر. ثم قدوم البعثات التبشيرية في القرن التاسع عشر بشكل خاص، وتأسيسها الكثير من المدارس في جميع انحاء لبنان.

وقد عرف لبنان معاهد التعليم منذ كان ثمة للتعليم مجال، وكانت في القرون الوسطى المدرسة الكنسية او الجامع او تحت السنديانة، ولم يكن هذا النوع من المدارس اسماءً فارغة بالنسبة لعصرها وللمناطق الواقعة فيها.

وكانت مدارس بيروت في القسم الاول من القرن التاسع عشر، كتاتيب صغيرة تدرّس فيها مبادىء القراءة والكتابة والحساب، ويعلم فيها بعض المعلمين البسطاء، ولكل طائفة مدرسة. ثم سعى المرسلون الى

فتح مدارس ارقى شأنا، لكنها لم تبلغ شأنها الا بعد حوادث السنة الستين. وكان يدرس طلبتها مع العربية احدى اللغتين الايطالية او الفرنسية واصول العلوم، والى سنة ١٨٦٠، كانت الآداب والعلوم منحصرة في نطاق ضيق، ثم اخذت في الاتساع بعد ذلك.

وسنة ١٨٢٦، قدم الى بيروت بعض اعضاء جمعية التوراة «البيليشيين» وسكنوا المدينة ونقلوا اليها مطبعتهم في مالطا، وكان في مقدمتهم «عالي سميث» الذي بعد تضلعه من العربية سعى مع رفيقه فانديك وغيرهما من بعض الوطنيين، فقربوا التوراة وعنوا بنشرها وتوزيعها، بعد ان حذفوا منها الاسفار الثانوية كالحكمة وابن سيراخ، ونوه باروخ وطوبيا والمكابيين. وكان ذلك سببا لإنشاء الروم الارثوذوكس الجمعية السورية الأرثوذوكسية، حيث كانوا يجتمعون قريبا من الكنيسة ويخطبون في مواضيع دينية ويقرأون في كتاب ملاطيوس ضد البروتستانت، ثم طبعوا ما اهملوه من الكتب المقدسة.



إحدى المدارس العادية في مطلع القرن العشرين

واجتهد المرسلون الاميركيون في فتح المدارس في بيروت وانحاء الجبل للذكور والإناث نحو سنة ١٨٣٥. ثم أنشأوا في بيروت مدرسة داخلية للذكور سنة ١٨٤٠، ومدرسة مثلها للبنات وهذا ما دفع راهبات المحبة ان يخصصن للبنات الكاثوليكيات مدارس ابتدائية مجانية للفقراء، ومدارس ثانوية للطبقة الوسطى من الاهلين منذ سنة ١٨٤٧، وقبلن ايضا طالبات داخليات في ديرهن سنة ١٨٤٩.



مدرسة ومستشفى راهبات سان شارل بورومي (١٩١٠)

وحتى سنة ١٨٦٠، كانت الآداب والعلوم منحصرة في نطاق ضيق، فأخذت بالاتساع بعد ذلك، وكان اول ما سد به الخلل، انشاء مدارس وطنية اجنبية ارقى درجة من العهد السابق، فقد انشأ المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٣، المدرسة الوطنية التي كانت في طليعة المدارس العالية في لبنان وسوريا. وقبل فيها الطلاب من جميع الطوائف والمذاهب . فتقاطروا اليها من

كل الجهات. وكان يدرس فيها ابناء سوريا ولبنان الى جانب ابناء مصر والآستانة واليونان والعراق وايران.



المعلم بطرس البستاني



ابراهيم اليازجي

فيتعلمون اللغات العربية والانكليزية والفرنسية على مشاهير ذاك العصر. وكان المعلم بطرس يتولى رئاستها بحزم، وابنه سليم يتولى الرئاسة في غيابه ويعلم الصف الاول الانكليزي، وسارة اخته تعلم صفا انكليزيا آخر. وتولى الشيخ ناصف اليازجي، الصف العربي الاول، والشيخ خطار الدحداح الصف الفرنسي الاول. ونرى بين اسماء المعلمين الآخرين الشيخ ابراهيم اليازجي، الشيخ يوسف الأسير، والشيخ قبلان الدحداح، المعلم سعد الله البستاني، والمعلم يوسف الباحوط، المعلم ابراهيم ناصيف، المعلم خليل ربيز المعلم سليم تقلا. ونجحت المدرسة نجاحا باهرا وكافأت الحكومة العثمانية المعلم بطرس البستاني بوسام مجيدي على إنشائها، وزارها الولاة مشجعين.



ناصيف اليازجي

وفي سنة ١٨٦٥، انشئت المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك على قمة تلة المصيطبة في زقاق البلاط، على يد البطريرك غريغوريوس يوسف البطريرك الانطاكي. وقد كان فيها سنة ١٨٨٢، نحو مئتي طالب وفيها ١٢ معلما، وكانت تدرس فيها العربية والفرنسية والانكليزية والتركية والرياضيات وعلم الطبيعة وغير ذلك من العلوم ، واقبل عليها الطلاب من سوريا وفلسطين ومصر وقبرص.

وكانت اول مدرسة حديثة للطائفة الاسلامية في بيروت هي التي انشأها حسن البنّا حوالي سنة ١٨٦٣، وقد سماها المدرسة الرشيدية قبل ان تنشىء الدولة العثمانية مدارسها المعروفة بهذا الاسم، وكانت تعلّم العربية والخط والحساب والدروس الدينية، وكان من اساتذتها الشيخ ابراهيم الأحدب.

وانشأ الروم الارثوذوكس سنة ١٨٦٦، مدرسة الثلاثة اقمار، التي تأسست في سوق الغرب قبل نقلها الى بيروت، وسنة ١٨٨٢، أنشأ أميل سرسق مدرسة زهرة الاحسان للبنات، وسنة ١٨٧٤ أنشأ المطران يوسف دبس مدرسة الحكمة للموارنة، التي فتحت ابوابها في اوائل تشرين الثاني سنة ١٨٧٥، وقبلت ٧٢ طالبا، وسنة ١٨٨٢، بلغ عدد طلابها، ٢٨٢ طالبا، وكان يعتني بهم ثلاثون معلما. وكانت تعلم العربية، الفرنسية، الانكليزية، اللاتينية، التركية، الحساب ومسك الدفاتر، الجغرافيا والتاريخ، الفلسفة وعلم الطبيعة والفقه. وسنة ١٩١٤، بلغ عدد طلابها ٣٨٤ بين داخلي وخارجي. وفي ايام ولاية مدحت باشا على سوريا ظهر في بيروت مكتب رشيدي واربع مدارس ابتدائية، اثنتان للذكور ومثلهما للإناث، فترأس مكتب الذكور الاول «احمد عباس» وترأس الثاني «عمر البربير» وكان بين المعلمين، احمد زيدان وخضر خالد وابراهيم رمضان، وترأست مكتب الإناث الاول حليمة رضوان والثاني فاطمة فان، وكان بين المعلمات هاجر شهاب، زبيدة التنير، حنيفة النعماني وهاجر عبد الحي، والخياطتان فاطمة عمار ونفيسة شامي.

وخص مدحت باشا بيروت بمكتب رشيدي



مدرسة الصنائع ١٩٠٧

عسكري ومكتب رشيدي ملكي وبمكتب سلطاني عال للتعليم الثانوي ، وجعل مدير هذا المكتب العالي الشيخ حسين الجسر وناظره الشيخ احمد عباس. اما هيئة التعليم فتألفت من مدرسين ثلاثة للعربية: الشيخ ابراهيم الأحدب وعبد القادر المسقاوي ومصطفى مطري، ومن مدرسين اثنين للتركية: احسان افندي وسليم افندي، ومن معلمين اثنين للخط رشدي افندي للخط الرقعي وحسين بنا للثلث والنسخي. وتولى الامير يوسف شهاب تدريس اللغة الفرنسية يعاونه فيها خليل حرفوش، وكان طبيب هذه المدرسة الدكتور اديب قدورة، ووكيل خرجها طاهر اليافي، ورئيس خدمتها حاجي محمد آغا.

وينص بيان رسمي صدر عن هذه المدرسة منذ تأسيسها، على أن مدة التحصيل فيها كانت ست سنوات ثلاث اعدادية وثلاث عالية، وأنها انشئت لتطبيق البرنامج الحكومي وأن اساتذتها من ذوي الكفاءة وتبدأ سنتها الدراسية في اول آذار، وتقبل كل من اكمل الخامسة عشر وحمل شهادة الابتدائية او الرشيدية، او على الاقل من تمكن من قراءة جريدة في لغة من اللغات. وجعل هذا البيان مجموع رسوم المدرسة عن سنة دراسية كاملة الفا وثماني مئة غرش تركي عثماني او ثماني عشرة ليرة عثمانية ذهبا، تدفع على مرحلتين في اول السنة الدراسية وفي منتصفها.

ومما جاء في بيان المدرسة ايضا: «أن ترويقة الطلبة كانت حليباً خالصا، وشيئا من الشاي والجبن النفيس والخبز والكعك، وأن وجبة الغداء كانت تتألف من اللحم والشوربا والخضار وفي المساء يتناول الطلبة صحنين احدهما كباب والآخر خضار او ارز مطبوخ بماء اللحم، وكانت الحكومة تقدم في ليالي الجمعة الحلوى والفاكهة التي كانت تقدم في كل مساء.

كان على الطالب ان يجلب معه الى المدرسة نصف دزينة من الألبسة التحتانية، والمحارم والكلسات والقمصان، وسترة وبنطلونا واسكربينة ومشطا وفرشاة ومقصا وملعقة وسكينا عويسا لبري الأقلام، وكأسا وفراشا من القطن طوله مئة وسبعون سنتيمترا وعرضه خمسة وتسعون وغطائي سرير احدهم من الفانيلا والآخر من القطن، واربعة شراشف واربع مناشف للوجه، ومثلها للطعام (اسد رستم - لبنان في عهد المتصرفية)

وشاء مدحت باشا ان يزيد بيروت علما، ولا سيما ابناء المسلمين فأوعز بإنشاء جمعية خيرية لهذه الغاية، وجعلها شبه رسمية فعين رئيسا عليها، امين سر مجلس ادارة سنجق بيروت، محرم بك، وجعل اعضاءها ٢٤ عضوا هم: حسن بيهم، بديع اليافي، بشير البربير، احمد دريا، حسن الطرابلسي، خضر الحص، راغب عز الدين، سعيد الجندي، سعيد طربية، طه النصولي، عبدالله الغزاوي، عبد القادر سنو، عبد القادر قباني، عبد اللطيف حمادة، عبد الرحمن النعماني، محمود خرما، محمود ديه، محمود رمضان، مصطفى شبارو، محمد الفاخوري، محمد اللبابيدي، مصباح محرم، محمد ابو سليم المغربل، وهاشم الجمال.

واعتبرت فيما بعد هذه الجمعية «جمعية المقاصد الاسلامية»، وفي ٣١ تموز سنة ١٨٨٧، انتخب اعضاؤها في اول اجتماع عقدوه في دار عبد القادر قباني، عبد القادر قباني اول رئيس لجمعية المقاصد الخيرية وبشير البربير امينا للصندوق ومصباح محرم كاتبا للاعمال.

وقد قامت هذه الجمعية بإنشاء مدارس للبنين والبنات في بيروت وصيدا وطرابلس، وتوجهت الى تعليم الفتاة المسلمة، الذي اعتبر قدوة في حد ذاتها آنذاك، اذ لقي معارضة من معظم المسلمين ومقاومة من العلماء والمشايخ، ولكن الجمعية لم تعبأ بالمقاومة ولا بالمعارضين.

واسست جمعية المقاصد اول مدرسة للبنات بمحلة البسطة التحتا، وكانت كلثوم بنت الشيخ محمد البربير ام علي سلام احدى تلميذاتها. وكانت المديرة حليمة رضوان، وفاطمة عمّار الناظرة. وفتحت المدرسة الثانية في سوق المنجدين قرب زاوية المجذوب ملك البربير، بإدارة هاجر المير، وكان يشترط على من يود ادخال

ابنته الى المدرسة ان يوقع تعهدا بتعليمها اربع سنوات على الأقل، حتى يتسنى للفتاة التزود بأكبر قسط من العلم والفن. (يوسف يزبك اوراق لبنانية صفحة ١٨٣) (عصام شبارو تاريخ بيروت صفحة ١٩٥).

ومن تلامذة هذه المدرسة خديجة خضر محمصاني، ونظيرة محاسبجي والدة رياض الصلح. وقد كان في المدرستين نحو ٤٣٠ طالبة وقت الافتتاح، فارتفع العدد الى ٥٣٦ طالبة في السنتين التاليتين.

واتسع نطاق الاعمال التعليمية التي قامت بها جمعية المقاصد الاسلامية الى خارج بيروت، الا أن الجمعية لقيت بعض الصعوبات في ايام السلطان عبد الحميد. وحيل بينها وبين النشاط حتى سنة ١٩٠٨، حيث جددت وجودها وعملها بعد اعلان الدستور العثماني، فانتخب الشيخ عبد الرحمن الحوت رئيسا لها، ثم خلفه مصطفى نجا مع سليم علي سلام. سنة ١٩٠٩، بدأت الجمعية تستعيد نشاطها، فاستأجرت مكانا آخر في زقاق البلاط، جعل مدرسة للذكور وفي سنة ١٩١٢، كانت مدارس الجمعية زاهية. وفي الحرب العالمية الاولى، اصبحت هذه الجمعية في عهدة الدولة العثمانية، وبعد انتهاء الحرب عاد الاهالي واسترجعوها.

ويجب الاشارة الى الاسباب التي حملت مفكري المسلمين على افتتاح هذه المدارس:

١ـ رغبة القوم في ان تكون للطائفة مدارس خاصة ، ذلك لأن المدارس الرسمية كانت تعتبر غير وطنية ولهذا لم يجد فيها سكان بيروت المسلمين الحل البديل للمدارس الاجنبية التي افتتحت في البلاد.

وتأثرت جمعية المقاصد بمصدرين، الاول هو المدارس الرسمية التركية التي كانت سائدة آنذاك والتي تعتبر مدارس اسلامية بالاضافة الى كونها تركية رسمية، ثم تأثرها بالمدارس التبشيرية الأجنبية والوطنية، والتي تعتبر مدارس مسيحية، ولكنها متفوقة ومتطورة علميا وتربويا. بيد أنه من الصعب الحكم اي من المصدرين كان له التأثير الأكبر على اتجاهاتها التربوية، لكنه من المؤكد أن الجمعية بدأت منذ ذلك الحين، محاولات تدريجية دؤوبة لتفلت من جوانب المنهج التركي، ولإضافة مواد واساليب عصرية مقتبسة من المدارس التبشيرية.

٢ـ ارتبط بهذا الاهتمام الذي اظهره المشرفون على هذه الجمعية في العناية بتعليم البنات، ومن كلمة لحسين بيهم، نشرت في ثمرات الفنون سنة ١٨٧٩: فاذا كانت ايها السادة هذه حالة الذكور الذين يوجد عندهم بعض وسائط تعليمية جزئية، فكيف حالة الاناث اللواتي وسائطهن اقل، والجهل بالتالي وبالواقع عندهن اعم، مع أن امر تعليمهن ضروري لأنهن المربيات الاول للاولاد وعليهن مناط التهذيب، فإنه لا أمة بلا رجال ولا رجال بلا عائلة، ولا عائلة بلا مربٍ وهذه المربي هو الأم التي، ان لم تكن متعلمة لا يمكنها ان تربي اولادها ولا بالتالي تتهذب الأمة.

وانتشرت المدارس الوطنية الاسلامية في بيروت. ففي سنة ١٨٨٤، أنشأ والي سوريا «حمدي باشا» المدرسة الاعدادية السلطانية للبنات في المنطقة التي عرفت بالباشورة (حاليا ثانوية المقاصد للبنات)، وفي سنة ١٨٩٥، افتتح الشيخ احمد عباس الازهري مدرسته الخاصة التي سماها «العثمانية» والتي اصبحت تسمى فيما بعد «الكلية العلمية الاسلامية» وقد عمرت زهاء عشرين عاما، واتسعت دائرتها وجمعت داخل محيطها اقسام التعليم الثلاثة الابتدائي والاعدادي والعلمي عدا روضة الاطفال.

وفي سنة ١٨٨٢، كان في بيروت وحدها من المدارس الوطنية والتلاميذ والتلميذات الاعداد المبيّنة في الجدول التالي

مدارس صبيان	مدارس بنات	معلمون	معلمات	تلاميذ	تلميذات	الطائفة
٢١	٣	٤٤	١٥	٢١٧٠	٤٥٢	مسلمون
٥	٣	١٦	٧	٩٠٠	٥٠٠	روم ارثوذوكس
١٠	١	٧٥	٢	١٢٨٠	٥٥	موارنة
٣	-	٣٠	-	٤٠٠	-	

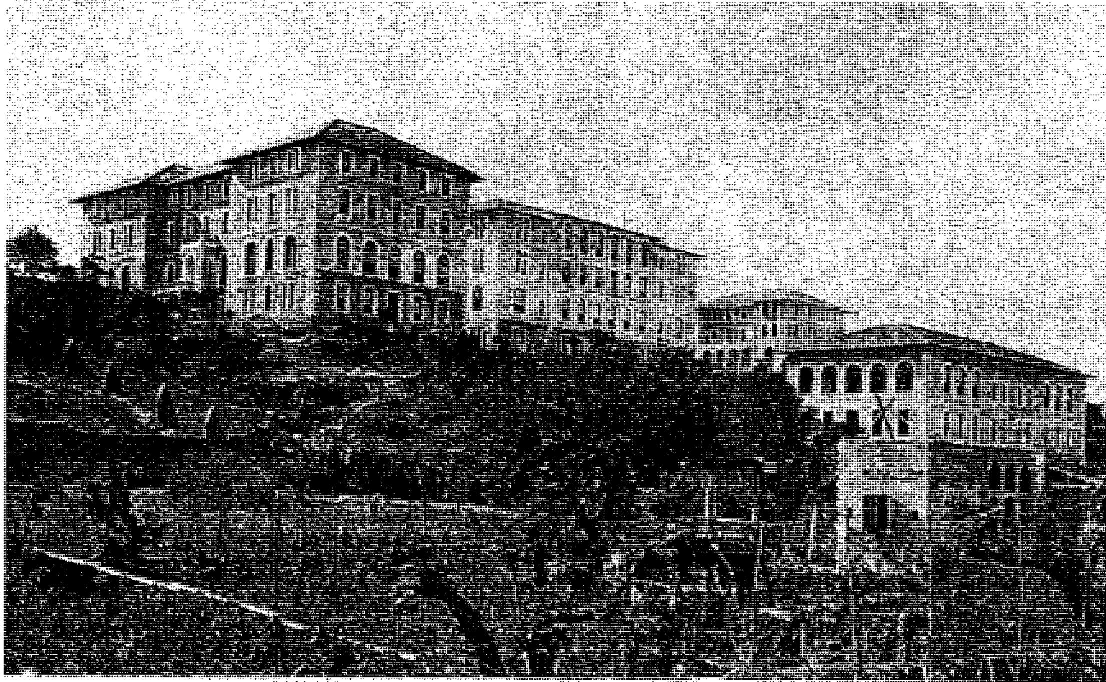
وفي اوائل القرن التاسع عشر، جاء الى لبنان فئتان من المبشرين، لم تلبث ان أخذتا على عاتقهما إنشاء المدارس في البلاد. والفئتان هما البعثات التبشيرية الكاثوليكية والبعثات التبشيرية البروتستانتية. وكانت الاولى فرنسية الاصل اما الثانية فكانت غالبيتها اميركية. ومن اشهر المدارس التي اسستها هذه البعثات، مدارس الآباء اليسوعيين، ومنها جامعة القديس يوسف التي تأسست سنة ١٨٧٥، مدارس الاخوة المريميين والآباء اللعازاريين، والكلية الاميركية التي كانت تعرف باسم (الكلية الانجيلية السورية) والتي تأست سنة ١٨٦٦. وقد ضمت المدارس التابعة لليسوعيين وراهبات المحبة وراهبات الناصرة ومار منصور والكبوشيين والانجيليين الاعداد التالية:

مدارس صبيان	مدارس بنات	معلمون	معلمات	تلاميذ	تلميذات
١٩	٢٨	١٢٦	١٧٤	١٥٦١	٤٤٧٤

الجامعة الاميركية:

لم تكن الجامعة الاميركية على عظمتها الحاضرة حين بدأت عملها سنة ١٨٦٦، بل كانت مدرسة تبشيرية لم يتجاوز عدد تلامذتها الخمسين.

اذ كان العمل في الكنيسة الانجيلية في الولايات المتحدة الاميركية لا يزال يستهوي كبار العقول ويستولي عليهم. وقد وفد الى لبنان للتبشير في ربوعه في منتصف القرن التاسع عشر، ثلاثة من رجال الكنيسة الانجيلية الاميركية هم: الدكتور وليم طومسون، والدكتور كرنيليوس فانديك، والدكتور دانيال بلس، ولمس هؤلاء الثلاثة تطور الاحوال في لبنان، واقبال الناس على العلم ورأوا أن مدرسة عبيه العالية، لا تؤمن العدد اللازم من المعلمين لمدارس الإرسالية الابتدائية، ووجدوا أن كليتهم في مالطا التي كانت قد انشئت لتثقيف الشبان في البلدان المطلة على البحر المتوسط، أنها اخفقت. ورأوا في الوقت نفسه أن مدرسة عين ورقة كانت قد نجحت حيث اخفقوا، فأخرجت عدداً من كبار العقول، فأجمعوا على تأسيس كلية عالية في بيروت تلقن العلوم زهاء اربع سنوات بعد انتهاء الدورة الثانوية. وفي ٢٧ كانون الثاني ١٨٦٢، اتخذ مجلس المبشرين الاميركيين في بيروت قرارا رفعه الى مجلس التبشير الاعلى في بوسطن، يقضي بإنشاء كليات في بيروت للمهن الحرة، واشراك العنصر الوطني في التعليم العالي، وتشكيل مجلس امناء للمعهد الجديد الذي اطلق عليه اسم «الكلية الانجيلية السورية» وترأس هذا المجلس «وليم بوذ» ودخل في عضويته خمسة عشر وجيها من وجهاء الولايات الشرقية، وتقدموا من حكومة ولاية نيويورك يطلبون السماح بانشاء كلية في بيروت، وبمنح شهاداتها العالية ونالوا الموافقة على ذلك في ١٤ ابا، سنة ١٨٦٤. وفي ٣ كانون الأول سنة ١٨٦٦، افتتح الدكتور «دنيال بلس» «الكلية الانجيلية السورية» بتلاوة آيات من رسالة مار بولس الاولى الى اهل كورنثوس: «انا غرست وبولس سقى لكن الله كان ينمي اذ ليس الغارس شيئا ولا الساقي بل الله الذي ينمي». وعندما بدأت عملها، كانت في بيت متواضع مؤلف من خمس غرف استأجره دانيال بلس وكرنيليوس فانديك من ورثة الحاج عبد الفتاح حماده في زقاق البلاط، وكان

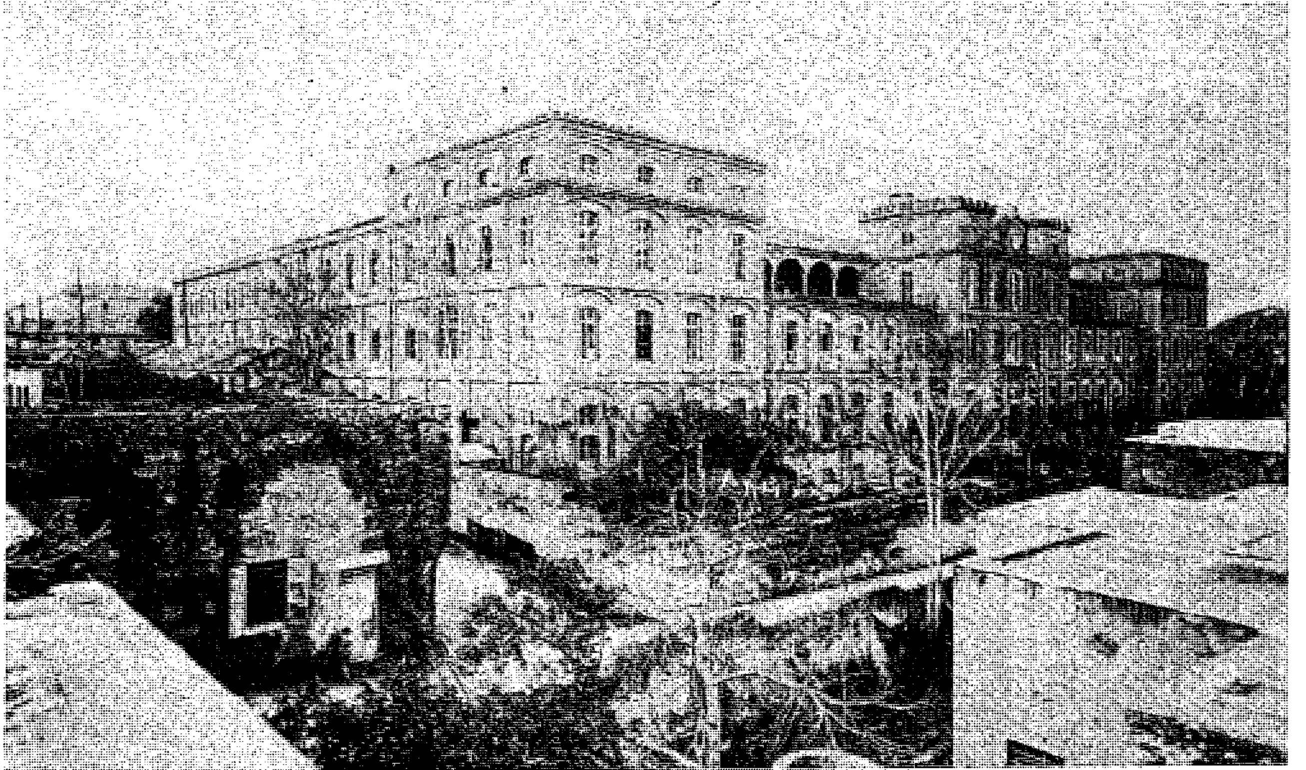


الجامعة الأميركية في بيروت ١٩١٣

بدأت عملها، كانت في بيت متواضع مؤلف من خمس غرف استأجره دانيال بلس وكرنيليوس فانديك من ورثة الحاج عبد الفتاح حماده في زقاق البلاط، وكان عدد تلامذتها ستة عشر طالبا، ثلاثة منهم من بيروت: فتح الله الصوما، وجرجس ساسين، وجرجس الخوري. وتولى التدريس في تلك السنة كل من دانيال بلس نفسه، وكرينليوس فانديك، ويوحنا وورتبات، والشيخ ناصيف اليازجي، واسعد الشدودي. وقام مستشفى الكلية في بيت مجاور وكان عدد اسرّته اربعة. وسنة ١٨٦٧، افتتحت الكلية الطبية واول طبيب بيروتي تخرج منها سنة ١٨٧١، هو سليم فريج، اضافة الى خمسة اطباء آخرين هم: سليم دياب من طربلس، يوسف حجار من بمكين، وناصر حليم من حمانا، رشيد شكر الله من بعبدا وشبلي الشميل من كفرشيما.

وفي ٧ كانون الاول سنة ١٨٧١، وضع وليم دودج اول حجر في بناية كلية الآداب والعلوم في رأس بيروت. وقد عبّر رئيسها الاول دانيال بلس بهذه المناسبة عن سياستها التعليمية الحرة وعن غايتها بقوله:

«إن هذه الكلية تفتح ابوابها لجميع الطلاب على اختلاف ظروفهم وطبقاتهم، دون اعتبار للون او التابعية او العرق او الدين، ويستطيع كل انسان ان يدخل هذه الكلية ويفيد من كل ما تقدمه له هذه المؤسسة من خدمات مدة ثلاث او اربع او ثماني سنوات ويخرج منها وهو يؤمن بإله واحد أو بآلهة عديدين او ملحد لا يؤمن بالله. ولكن يستحيل على اي انسان ان يقيم بين ظهرانينا على ارض هذه المدرسة مدة من الزمن دون ان يعرف الحقيقة التي نؤمن بها، ودون ان يعرف الأسس والاسباب التي تدعونا الى هذا الايمان بالحقيقة (فيليب حتي - لبنان في التاريخ - صفحة ٥٥٢).



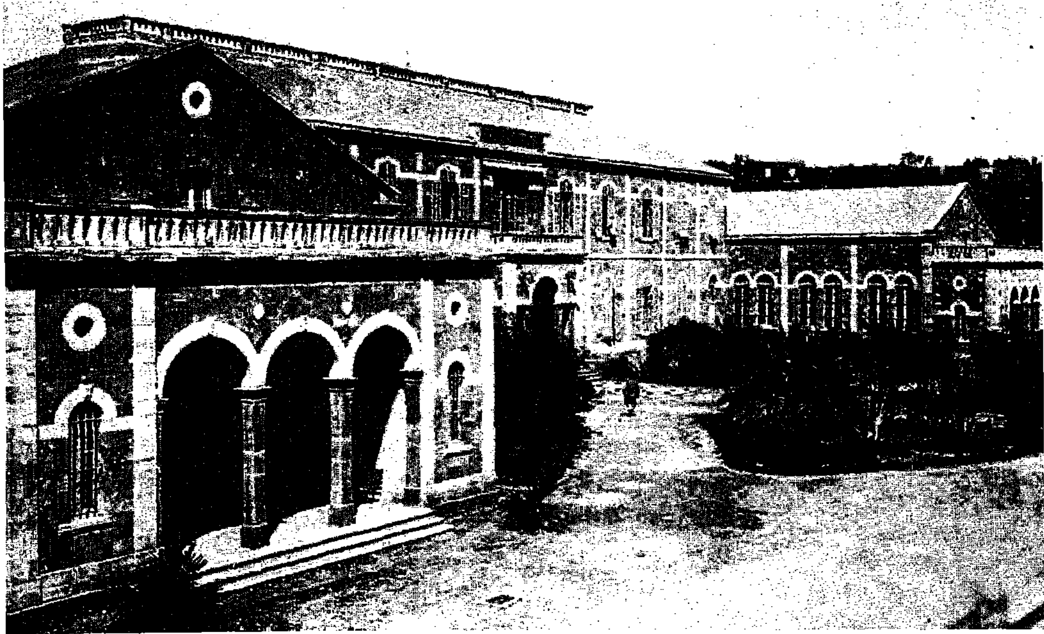
جامعة القديس يوسف للآباء اليسوعيين ١٩٠٥

الجامعة اليسوعية.

كان اول حلول اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٣٩، في زمن حكم المصريين على الشام وكان رئيسهم اذ ذاك الاب «مكسيميليان ريلو» البولوني الاصل، وهو المعروف بالأب منصور الذي اشترى ارضا واسعة خارج اسوار المدينة، كانت مزروعة بشجر التوت، وشرع ببناء دير صغير، الا أن الاحداث السياسية في تلك الحقبة بين الدول والمصريين اضطرته الى تأجيل العمل، ولا سيما ، أنه كان قد عين نائبا للقاصد الرسولي. وبعد نزوح المصريين عن بلادنا، استأنف عمله، وفكر بمدرسة للصناعة لتهذيب احداث المسيحيين، لكن البابا استدعاه في تلك الاثناء ليقيمه رئيسا على مدرسة انتشار الايمان «البروبغندا» فخلفه الأب مبارك بلانشيه فأنجز ما بدأه سلفه وعمر الدير في الحي المعروف اليوم بالصيفي وفتح فيه مدرسة للاحداث في تشرين الثاني سنة ١٨٤١.

وسنة ١٨٤٣، قام الآباء اليسوعيون بتطوير هذه المدرسة تدريجا لتتحول الى كلية للتعليم العالي سنة ١٨٧٥، وذلك بفضل جهود مؤسسيها الرهبان العلماء ونشاطهم، مع مساعدة مالية من الحكومة الفرنسية تقل وتزداد حسب سياسة الحزب الذي يتولى الحكم فيها.

وقد تقدمت هذه الجامعة تقدما بارزا في جميع العلوم والفنون، ولا سيما، في معهدي الطب والحقوق فاقبل عليها الطلاب من لبنان وسوريا وسائر المشرق العربي ووصلت قبيل الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤، الى اسمى درجة من الرقي بين معاهد الشرق، حتى اصبحت مع الجامعة الاميركية في سباق ثقافي



كلية الطب الفرنسية

وعلمي ادى الى منافع كثيرة، واعتبرتا معا اهم جامعات الشرق قاطبة وقد اشتهر من رؤسائها الأب «كاتين السويسري» ومن اساتذتها الأب لويس شيخو المعروف ببحوثه الأدبية والتاريخية.

وتأسيس هذه الجامعة يعود الى الأب «غوثرله» الذي هاله انتشار المذهب الانجيلي في لبنان وازدياد عدد اتباعه، واقدام الشبان الموارنة وغيرهم من الطوائف الكاثوليكية على تلقي العلوم الحديثة في الكلية الانجيلية السورية وقد تخرج منها خمسة عشر طبيبا مارونيا وعشرة من الروم الكاثوليك وثلاثة من اللاتين تبوأوا اهم المراكز في البيئات التي خرجوا منها. وخشي الأب اليسوعي هذا الاقدام على المعهد الانجيلي في بيروت، فكتب مراراً، الى قيادة الرهبنة بوجوب نقل كلية غزير الى بيروت وتكبيرها لمكافحة المبادىء الانجيلية، فلم يفلح وجاء بعده في رئاسة الرهبنة على سوريا ولبنان الأب «مونو» الذي وصل الى بيروت في ٢١تشرين الثاني سنة ١٨٦٩. وكانت الرهبنة اليسوعية تتألف في هذه البلاد من ثمانية وثلاثين أبا ومدرسين اثنين للفلسفة الكلامية واربعة وعشرين اخا معاونا، وكان الرئيس العام للرهبنة قد فوض اليه نقل كلية غزير الى بيروت، فانتقى بقعة مساحتها ١٧ الف متر مربع مطلة على البحر، وكان الوسيط في شرائها درويش التيان الذي لم يرض اي مقابل لخدماته، وتقدم خياط ايطالي فأقرض الرهبنة ٨٤ الف فرنك لشراء الارض.

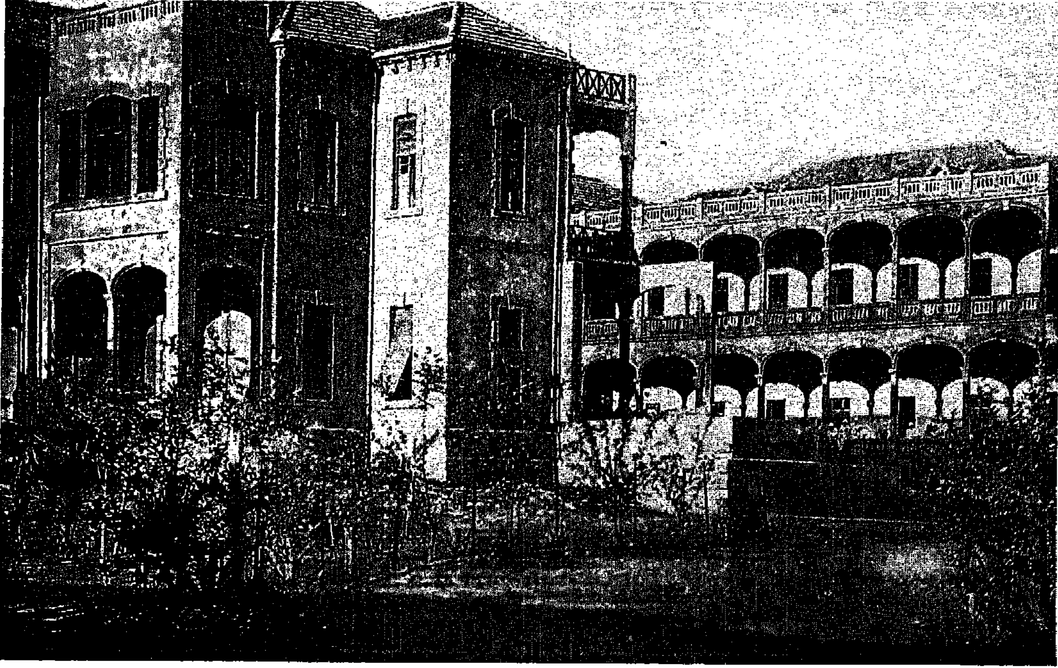
بقي امر جمع المال اللازم لبناء الكلية، فرأى الاب مونو ان يطلبه في البلاد نفسها التي مولت المرسلين الانجيليين في لبنان. فقام برفقة الأب «فرنسوا كزافيه بايو» برحلة الى انكلترا سنة ١٨٧١، ثم الى نيويورك وكندا حيث امضيا سنتين كاملتين في تلك البلاد. وقد عادا مزودين بالمال المطلوب بعد شتى انواع التعب والرفض والاهانة. وعندما شرع الآباء بإنشاء البناء، قامت بوجههم صعوبات شتى، ومنها أن القانون العثماني قضى باستصدار فرمان سلطاني لانشاء الكنائس والاديرة والمدارس، ومنها أن هذا الاستصدار استوجب بذر الاموال في الاوساط العالية فرأى الآباء ان يستصدروا فرمانهم بواسطة سفارة فرنسا. ولكن أولي الامر في الاستانة اوجبوا موافقة مسبقة من بلدية بيروت. فخشي الآباء سوء العاقبة لوفرة الاعضاء المسلمين في المجلس البلدي ولكثرة الاعضاء الروم الارثوذوكس ونفوذ كلمتهم، إلا أن المجلس البلدي وافق وارسلت الاوراق الى الآستانة ودفنت هناك. ولكن الأب مونو شرع بالعمل. وكثرت الاشاعات حول المشروع الجديد ضمن قائل إن الآباء ينشئون قلعة في قلب المدينة واكثر من ذلك بكثير ، وكثر تردد شرطة بيروت على الأب «بايو» مهندس المشروع، فكان يحولهم على قنصل فرنسا. ومما يروي من هذا القبيل، يقول الدكتور اسد رستم «إن المرحوم بشارة دبّو كان لا يزال موظفا بسيطا في دائرة الاشغال، فأبصر الأب مونو مرة حاملا تصاميم الدير بيده، فطلب اطلاعه عليها وعندما فعل نصح الأب مونو ان يصغر مقياس التصاميم حتى تصبح بمجموعها قدر راحة اليد الواحدة فيستصغرها أولو الامر ويغضون النظر. ففعل الأب واقتنع الموظفون (لبنان في عهد المتصرفية ص ٢٦٠).

وفي تموز سنة ١٨٧٥، في حفلة توزيع الجوائز في غزير صرف الطلاب ليعودوا في تشرين الى الدير الجديد في بيروت.

وقضى نقل المدرسة بقبول عدد اكبر من الطلاب غير الكاثوليك من ابناء الطوائف الارثوذوكسية وغيرهم من ابناء الكنائس الشرقية، كما قضى بقبول بعض المسلمين والدروز واليهود.

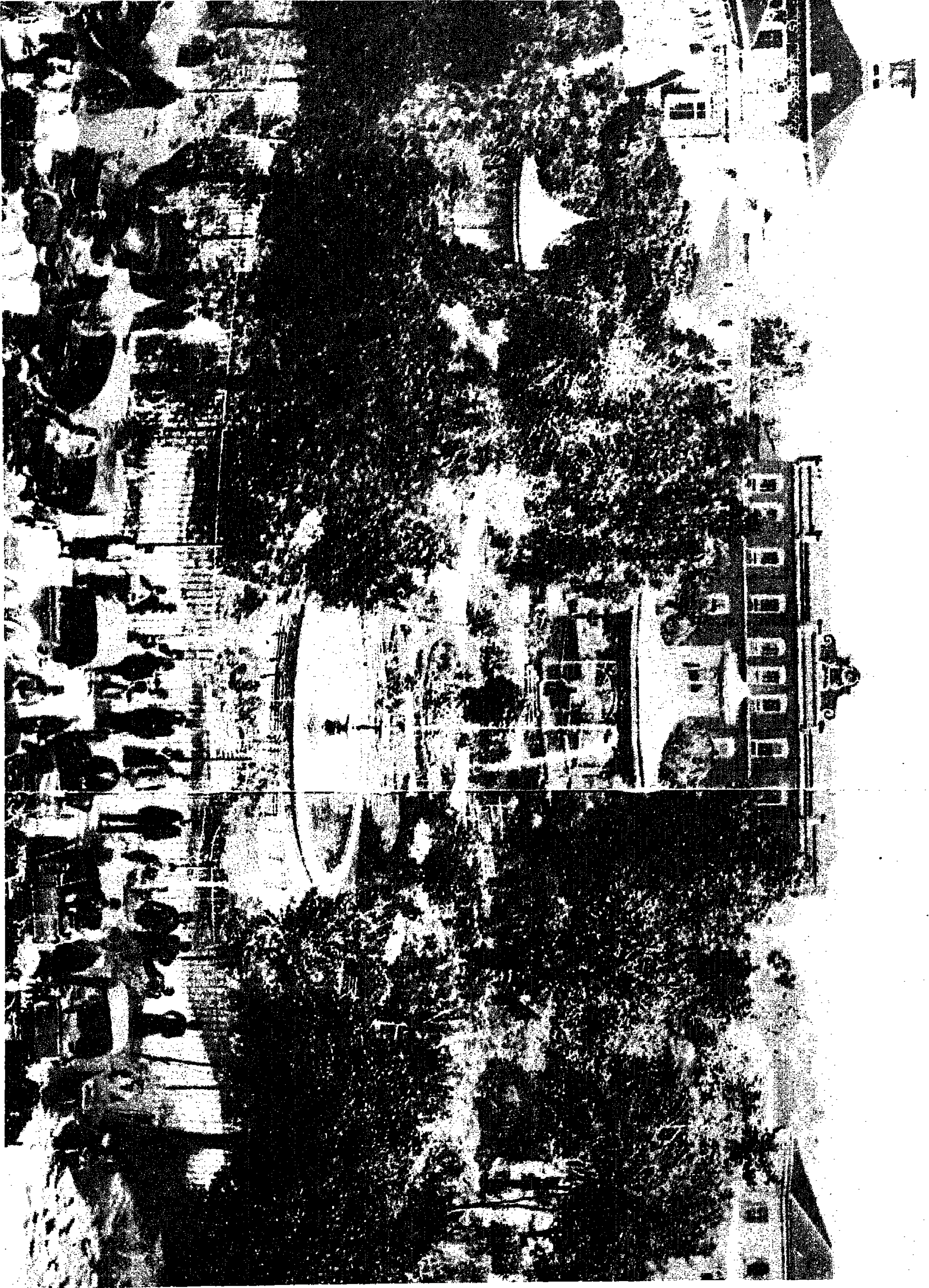
وفي مطلع سنة ١٨٨١، قام الأب «رمي نورماند Remi Normand» برحلة الى روما، طلب فيها من البابا اضافة مدرسة رسولية الى الكلية القائمة في بيروت، ومنها حق اعطاء الرتب العلمية، ولقب جامعة. فسمح البابا بذلك في ٢٥ شباط سنة ١٨٨١، واصبحت كلية القديس يوسف «جامعة القديس يوسف» او

واصبح بمقدور العلمانيين من الطلبة ان يتقدموا الى امتحانين ينالون بعد اجتيازهما شهادة البكالوريا في الآداب.

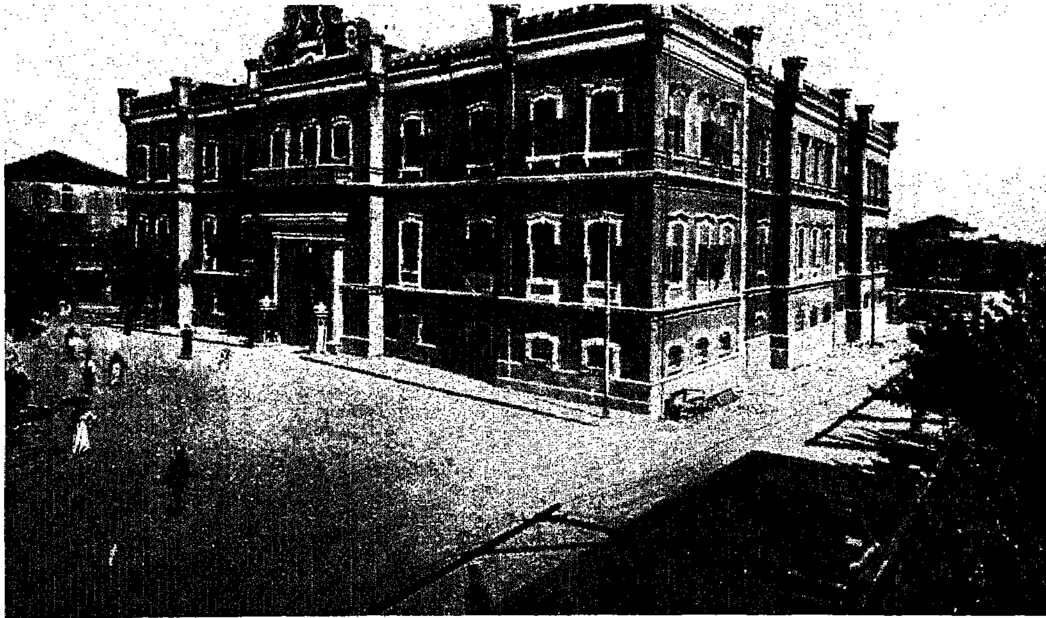


مستشفى اوتيل ديو (١٩٢٥)

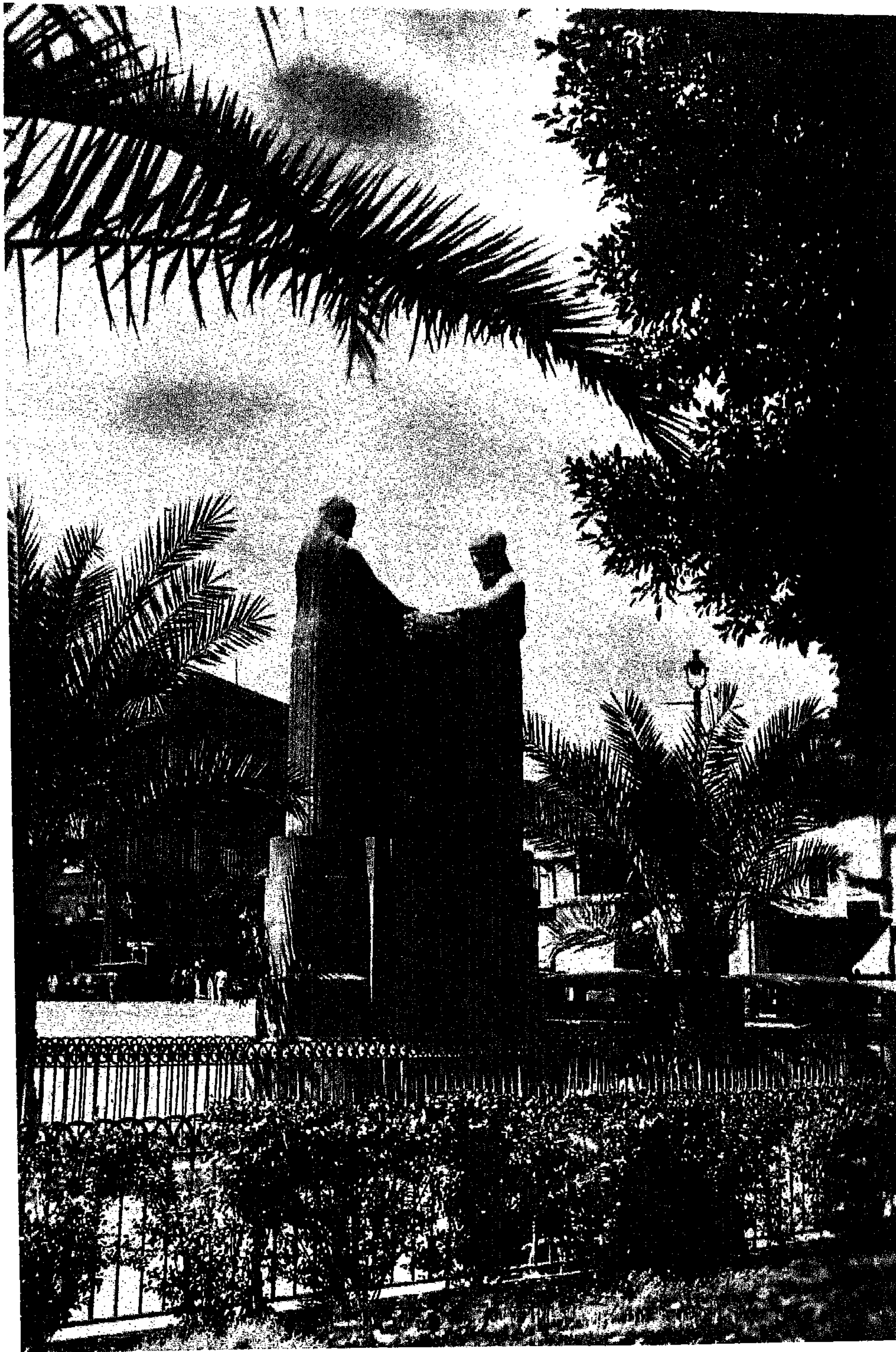
ولمس ممثلو فرنسا في بيروت نجاح المؤسسة الاميركية والانكليزية، واقبال الشباب الكاثوليكي عليها. فعظم عليهم الامر وارادوا ابعاد اصدقاء فرنسا عنها فلم يروا افضل وامهر من الآباء اليسوعيين في ذلك. فنسقوا مع الحكومة الفرنسية التي وافقت سنة ١٨٨٢، على دفع ١٥٠ الف فرنك لإنشاء معهد فرنسي للطب في بيروت، و٢٥ الف فرنك لإنشاء مختبر للفيزياء. وافتتحت جامعة الطب الجديدة في منتصف تشرين الثاني سنة ١٨٨٣، وفيها آباء ثلاثة لتدريس العلوم الموصلة وطبيبان علمانيان فرنسيان وأحد عشر طالبا.



الحديقة العامة في ساحة البرج (١٩٠٠)



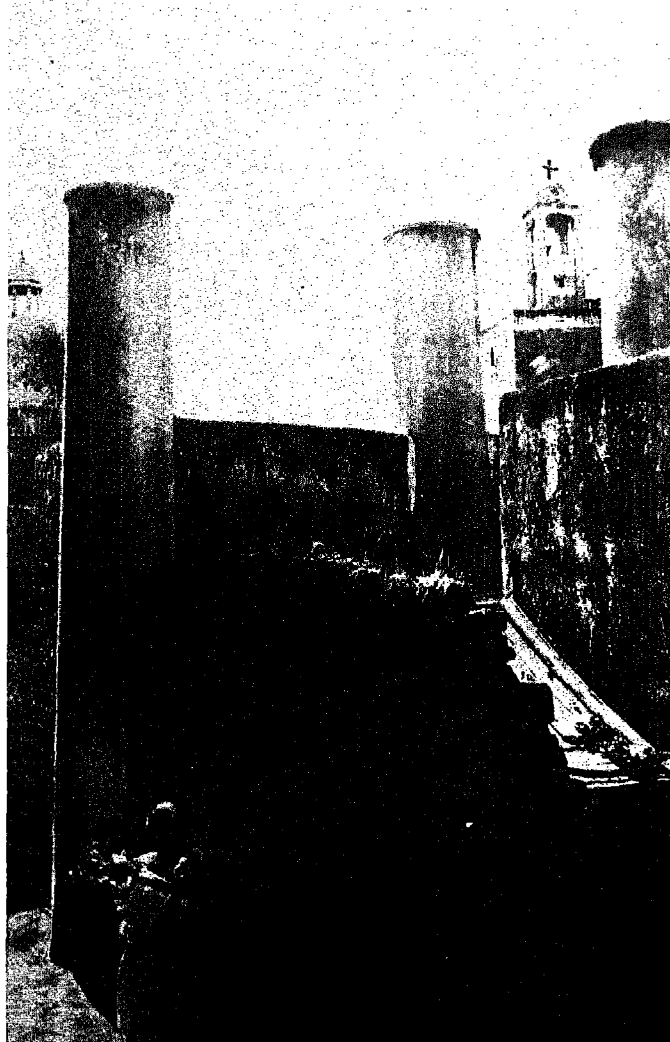
السرايا القديمة ١٩١٠



تمثال الشهداء ١٩٣٠



شارع البرج ١٩٠٣



الأربعين شهيد



حمام زهرة سوريا، مقابل كنيسة ماجريس المارونية ١٩٠٥



ساعة بيروت ١٩٠٠

الحياة الفكرية

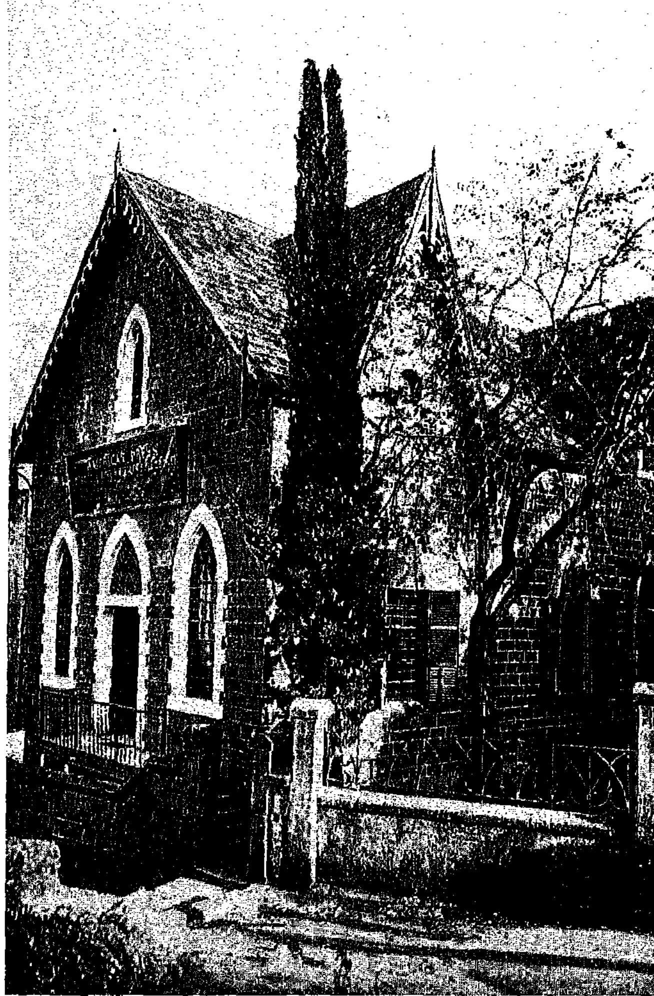
بعد الستينات من القرن التاسع عشر ، استتب الأمن في لبنان بفضل الأنظمة الجديدة وساد السلام وبدأت المدارس الثانوية والكليات تزف خريجيها الى المجتمع اللبناني والعربي، وتعددت الجمعيات العلمية والأدبية وكثر عدد المطابع، وزاد عدد المجلات والجرائد، فاصبحت بيروت مركز الفكر الحديث في الشرق العربي، ومبعث العلوم العصرية، ومنشأ الصحافة وكتاب الأدب والسياسة.

ومن المعلوم، أن المطابع من اعظم اسباب الرقي والتقدم العلمي والثقافة، وقد كان لبنان اول البلاد العربية التي عرفت الطباعة فيها. ولمدينة بيروت النصيب الأكبر والأقوى من المطابع التي ساهمت في طبع ونشر الكتب والصحف والمجلات والروايات، واستنهاض همم الكتاب والمفكرين، وكانت الدولة العثمانية تطلق لهذه المطابع الحرية، ولم تهتم في المرحلة الاولى بمراقبتها.

ومطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذوكس هي اول مطبعة ظهرت في بيروت بمساهمة الشيخ ابي عسكر الجبيلي في اواسط القرن الثامن عشر. طبع فيها آنذاك بعض الكتب الدينية والطقسية كالمزامير والسواعية والتعليم المسيحي، ثم توقفت ردحا من الزمن لتعود سنة ١٨٤٥، فتنشر الدينيات والطقسيات بحر فها القديم.

واعظم من الارثوذوكسية المطبعة الاميركية في بيروت، اذ نقلت الارسالية الاميركية مطبعتها من مالطا الى بيروت سنة ١٨٣٤، قبل تأسيس الجامعة الاميركية، وقد ادارها عالي سميث. ومن اول مطبوعاتها، فصل الخطاب للشيخ ناصيف اليازجي

وبعض الكراريس الدينية. ثم جددت ادواتها واستبدلت حروفها التي سبكت في «ليبزيك» وطبعت عليها التوراة بعد ترجمتها الى العربية سنة (١٨٦٠-١٨٦٥).



مبنى المطبعة الأميركية ١٩٠٥

وعندما تسلم ادارتها فانديك طورها ونشرت فيها عدة كتب من مدرسية وعلمية وادبية ودينية وغيرها، بلغ عددها حوالي خمسين كتابا قبل حوادث سنة ١٨٦٠.

وكان بعدها المطبعة الكاثوليكية التي انشأها الآباء اليسوعيون سنة ١٨٤٨، ونشر فيها اولا، نحو عشرة كتب دينية ومدرسية على الحجر ثم طوروا حروفها وسبكوها في باريس سنة ١٨٥٣، وبقيت مطبوعاتها محصورة العدد مدة من الزمن، ثم اتسع نطاق اعمالها وزاد الإقبال على منشوراتها وتحسنت ادواتها فبلغ ما نشرته من المؤلفات المختلفة قبل سنة ١٨٦٠، اكثر من عشرين كتابا.

ثم ظهرت المطبعة السورية التي اسسها خليل الخوري، الذي عينته الدولة التركية مديرا للمطبوعات ونشر اول جريدة ظهرت في سوريا، دعاها «حديقة الاخبار». وفي مطبعته طبع ونشر الدستور العثماني وبعض الكتب القانونية والتجارية

وظهرت ايضا في اواسط القرن التاسع عشر،

مطبعة النجار التي عرفت بمطبعة ابراهيم «افندي» النجار وهو طبيب لبناني، طبع فيها تاريخه للدولة العثمانية المعروف « بمصباح الساري ونزهة القاري» سنة ١٨٥٥. وهذه المطبعة ورثها بعد ذلك شقيقه يوحنا النجار ودعاها «المطبعة السورية » وقد اشتغل بها حتى سنة ١٨٦٠.

وفي اواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، ظهرت بعض المطابع الجديدة في بيروت علاوة على بعض المطابع القديمة. فاستبدل الاميركيون مطبعتهم على الحروف باللينوتيب، وانشئت مطبعة الآباء الكبوشيين المعروفة «بجان دارك» ومطبعة جدعون، ومطبعة يوسف صادر ومطبعة قزما والمطبعة الفرنسية، ومطبعة الثبات، ومطبعة الاجتهاد، ومطبعة النهضة، والمطبعة الأهلية والمطبعة العصرية وغيرها من المطابع...

وامتازت بيروت بمطبوعاتها التي وصلت بعد سنة ١٨٦٠، الى عدة آلاف ، ففي هذه الحقبة نشر في بيروت معظم الكتب المسيحية الشائعة بين الطوائف، وفي مقدمتها التوراة والانجيل ثم الكتب الطقسية وشروحها، التي طبع قسم كبير منها في المطبعة الكاثوليكية، وفي المطبعة العمومية لصاحبها، رزق الله خضرا بالعربية والسريانية. وفي هذه السنين، نشرت في بيروت معظم التواريخ الطائفية كتاريخ الموارنة للدويهي وتاريخ الروم الملكيين لغريغوريوس عطا وتاريخ السريان لديونيسيوس نقاشة والفيكونت فيليب دي طرازي والقس اسحق ارملة، وتاريخ الكلدان لأدي شير واخبار الرهبانيات الشرقية. وطبعت شتى الكتب اللاهوتية والدينية، والفلسفية والعظات، اضافة الى الكتب المدرسية كمبادىء العربية وتعليم اصولها الصرفية والنحو والبيان والمنطق لليازجيين والبساتنة والشراتنة. وطبع الاميركيون في مطبعتهم كتبا علمية في الطبيعيات والرياضيات والكيمياء والطب.

وعنيت المطبعة الكاثوليكية بنوع خاص، بنشر الكتب الأدبية القديمة والحديثة كمجاني الأدب وعلم الأدب ومنتخبات المجاني، ومقامات بديع الزمان الهمذاني، ونظم امثال الميداني للشيخ ابراهيم الأحدب ودواوين الاخطل والخنساء وابي العتاهية والسموأل والبحتري وجرير والمفضليات ورياض الأدب وشعراء النصرانية، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري، وتاريخ الوزراء للصابي، وتاريخ دمشق لابن القلانسي، وتاريخ الكندي وابن البطريق والمنبجي وابن الراهب، وتاريخ بيروت وحلب ولبنان وتاريخ النصرانية وآدابها في الجاهلية والآداب العربية في القرن التاسع عشر.

اضف الى ذلك ما طبع في غيرها من الكتب الأدبية واللغوية كمحيط المحيط وقطر المحيط او دواوين البحتري وابي تمام والمتنبي وسير الملوك وابن خلدون واخبار الاعيان في جبل لبنان وغيرها من الكتب الفلسفية والأدبية والفقهية.

وقضت الحاجة بترجمة القوانين الجديدة من التركية الى العربية.فترجم نقولا النقاش «وكيل الدعاوي» قانون الاراضي الى العربية وطبعه في بيروت سنة ١٨٧٣، ثم عرب قانون التجارة وقانون تشكيل المحاكم النظامية وقانون اصول المحاكمات الحقوقية وقانون اصول المحاكمات الجزائية ، واصدرها جميعها ما بين ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ وعرب نوفل نوفل الطرابلسي الدستور ونشره في بيروت في مجلدين ضخمين سنة ١٨٨١.

وسنة ١٨٧١، اتفق سليم شحادة وسليم الخوري على تصنيف دائرة معارف تاريخية وجغرافية مرتبة ترتيبا هجائيا. وسنة ١٨٧٥، اصدرا القسم الاول من الجزء الجغرافي بعنوان «آثار الادهار» ونشرالجزء الثاني بعد وفاة سليم الخوري في اواخر السنة نفسها، والثالث في سنة ١٨٧٦، ثم الرابع والخامس. وسنة ١٨٧٧، اصدر سليم شحادة الجزء الاول من القسم الثاني.

والمعلم بطرس البستاني زعيم الحركة الفكرية والأدبية كان لا يزال يتابع اعماله العلمية والأدبية ويصدر دائرة المعارف بعد اصداره قاموسه المشهور محيط المحيط وقطر المحيط. وبعد وفاته سنة ١٨٨٣،

اكمل ابنه سليم اصدار الدائرة فأصدر الجزء السابع والثامن وتابع ابناء بطرس الباقون مع نسيبهم سليمان البستاني حتى الجزء الحادي عشر.

وكان مارون النقاش الصيداوي الأصل قد شهد مراسح اوروبا، فأحب التمثيل، ولما عاد الى بيروت جمع نخبة من اصدقائه ومثل معهم في منزله رواية البخيل سنة ١٨٤٨، فكانت هذه اول رواية تمثيلية في اللغة العربية، ثم في سنة ١٨٥٠، الف النقاش رواية ابي الحسن المغفل وهارون الرشيد ومثلها في منزله ايضا، ودعا اليها والي صيدا وبعض الوزراء، فأعجبوا به واثنوا عليه. واشتهر بالتمثيل ايضا سعد الله البستاني وسليم النقاش ابن اخي مارون، ونظم الشيخ خليل اليازجي قصة حنظلة الطائي والملك النعمان وجعلها رواية تمثيلية غنائية مثل فيها فضيلة الوفاء والمروءة وقدمها للجمهور البيروتي سنة ١٨٨٧.

وأكسب العلم ذويه وجاهة وتقديرا ومكانة واحتراما، فاقبل عليه ابناء الغنى والوجاهة وفاخروا به واشتهر من هؤلاء في هذه الآونة الحاج حسين بيهم ابن الحاج عمر جلبي افندي وجيه بيروت الأكبر. وقد عني الحاج حسين بيهم بشعر المناسبات وكان يقوله ارتجالا، وكان سليم بسترس على غناه ووجاهته ميالا الى العلم، فسافر الى اوروبا وزار عواصمها وكبريات مدنها، وعاد الى بيروت ووضع كتابا اسماه «الرحلة السليمية».

وممن عني بالعلم والأدب الشاعر اسعد طراد البيروتي، الذي قرأ العلوم العربية على اشهر اساتذة عصره وخاصة الشيخ ناصيف اليازجي، ونبغ ايضا الشيخ يوسف الأسير الذي تولى رئاسة كتابة المحكمة الشرعية في بيروت، وقد خرج عن التقاليد الموروثة واندفع في تعليم المسيحيين علوما عربية كانت تعتبر خاصة بالمسلمين، واشتغل هذا الشيخ بالفقه واللغة، فترك لنا «رائض الفرائض» وشرح اطواق الذهب» و«الروض الاريض» الذي جمع فيه موشحاته وقصائده، وله في وصف لبنان بعد سنة ١٨٦٠، قصيدة جاء فيها:

نرى لبنان اهلا للتهاني

فقد نال الامان مع الاماني

واضحى جنة من حل فيه

قرير العين مسرور الجنان.

اما الشيخ ابراهيم الاحدب الذي ولد في طرابلس، فقد درس في مدارس طرابلس وبيروت ونظم الألوف من الابيات الشعرية، وبرع في الفقه الحنفي، واعتمدت محاكم لبنان فتاويه وتعاطى مهام رئاسة الكتاب في محكمة بيروت الشرعية.

واشتهر في بيروت في المدة نفسها الشيخ ابو حسن قاسم بن محمد الكستي الذي ترك لنا ديوانين: مرآة الغريبة، وترجمان الافكار.

والى بيروت ايضا يعود الفضل في انشاء المكاتب وغرف القراءة والنوادي العلمية والجمعيات الأدبية والسياسية، والمتاحف واقامة الحفلات الأدبية، حتى اصبحت بيروت في اعين القاصي والداني مركز النهضة الأدبية في العالم العربي آنذاك.

واول مكتبة عمومية انشئت في بيروت اسسها الفيكونت فيليب دي طرازي بعد الحرب العالمية الاولى بمساعدة رجال الانتداب الفرنسي، لا سيما منهم الجنرال غورو والجنرال ويغان.

لكن بيروت لم تخل منذ سنة ١٨٦٠، من المكتبات الخاصة كمكتبة الكلية الاميركية، ومكتبة الكلية اليسوعية، وقد حوت المكتبة الاميركية عشرين الف مجلد، كان يغلب عليها الطابع العلمي - واكثرها بالانكليزية، اما المكتبة اليسوعية فكانت أحدث، وقد قسمت الى قسمين قسم غربي وقسم شرقي حوى كل منهما اكثر من ثلاثين الف مجلد بالاضافة الى المكتبة المدرسية والهندسية والحقوقية والطبية وبلغ مجموع ما حوته هذه المكاتب اكثر من ١٤٠ الف مجلد، يضاف اليها ما يزيد عن ثلاثة الاف مخطوط في اللغات



المكتبة الشرقية

المكتبة الأميركية

الشرقية، الكلدانية والسريانية والفارسية والتركية والأرمنية والقبطية والحبشية فضلا عن العربية.

وفي هذه الحقبة ظهرت دور النشر ومكاتب الكتبيين فكان اولهم ابراهيم صادر منشيء المكتبة العمومية سنة ١٨٦٣، ثم انشئت المكتبة الأدبية والمدرسية والعلمية، والجامعة الوطنية والاهلية والأنسية والعصرية.

وحري بنا ان نشير الى أن عدداً من الجمعيات ظهر في بيروت منذ اواسط القرن التاسع عشر وأن الكثير من هذه الجمعيات كانت تعنى بالحياة الفكرية والثقافية، وقد اشرنا فيما سبق الى جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية البيروتية، التي اوعز بإنشائها مدحت باشا يوم كان واليا على سوريا.

وقد كان المرسلون الاميركيون واصدقاؤهم السباقين إلى انشاء مثل هذه الجمعيات، وكان في طليعتها الجمعية السورية، التي تأسست سنة ١٨٤٧، كناد اميركي في بيروت ، اسسه المبشرون قبل افتتاح اي من المدارس الكبيرة المعروفة ، جمعوا فيه بعض ادباء المدينة وكتابها الساعين الى تعزيز العلوم العصرية في وطنهم، وضمت هذه الجمعية خمسين عضوا منهم: الشيخ ناصيف اليازجي وبطرس البستاني ونوفل نوفل ومخائيل مشاقة ومخائيل شحادة ومخائيل عرمان وابراهيم طراد ونعمة تابت وسليم دي نوفل ويوسف كتافاكو وجبور الخوري، بالاضافة ، إلى عدد من الاجانب امثال فانديك وتشرشل وورتبات وجرجس هويتن وعالي سميث. فكانوا يجتمعون في اوقات معلومة ويلقون بعض المحاضرات الأدبية والعلمية. ونظمت الجمعية اعمالها، وشكلت هيئة ادارية لها مؤلفة من رئيس وثلاث نواب رئيس وكاتب وامين صندوق وينتخبون جميعا بالاقتراع السري. وتألف مجلس ادارتها سنة ١٨٥٢، من عالي سميث رئيسا، وبطرس البستاني كاتب وقائع وامين شحادة امين صندوق. لكن الجمعية توقفت في ذات السنة لتعود فتتجدد سنة ١٨٦٨، بعد ان فتحت ابوابها للمسلمين والدروز واعترفت السلطات العثمانية رسميا بها،

وحضر المتصرف احمد باشا اجتماعاتها وانضم الى عضويتها عدد من رجالات الدولة أمثال: يوسف كامل باشا وفؤاد باشا ومحمد رشدي باشا ومصطفى فاضل باشا وصفوت باشا، ورؤوف باشا وبلغ عدد اعضائها اكثر من ١٥٠ عضوا بينهم عدد من المصريين امثال سليمان واحمد اباظة وعدد من سكان مدينة دمشق جبران اسبر وروفائيل شامية وعبد اللطيف ماريديني ويوسف وردة وعبدو قدسي. وفي سنة ١٨٦٩، اصدرت الجمعية مجلتها «مجموعة العلوم» وقد قال عنها فيليب دي طرازي: مجلة تشتمل على اعمال الجمعية العلمية السورية في پيروت، وعلى مباحث عمومية كالزراعة والصناعة والتجارة والتاريخ والشعر وسائر المواضيع العلمية.

وأنشأ اليسوعيون جمعية كاثوليكية سنة ١٨٥٠، دعيت «الجمعية الشرقية»، امتاز من اعضائها الطبيب ابراهيم النجار وفرنسيس مسك والشاعر حنا ابي صعب ورزق الله خضرا وطنوس الشدياق وحبيب اليازجي.

وسعى الروم الارثوذكس لتأليف جمعية في بيروت لأجل العلوم والفنون، ضمت اليها بعض وجوه الطائفة امثال مخائيل شحادة وفضل الله بسترس، واسعد سرسق ونعمة جرجس طراد، والقس جراسيموس الشامي.

كما ظهر سنة ١٨٨٢، «المجمع العلمي الشرقي» «وجمعية الصناعة» وقد ضمت هاتان الجمعيتان عدداً من المثقفين منهم يعقوب صروف وفارس نمر ووليم فانديك وسليم موصلي ويوحنا ورتبات، واسكندر البارودي وجرجس همام، وابراهيم اليازجي، وابراهيم الحوراني، وجرجي زيدان، وجرجي يني واسبر شقير وشاهين مكاريوس.

لكن حياة هذه الجمعيات كانت قصيرة، لأن الحكومة التركية كانت تنظر اليها بحذر وارتياب، خوفاً من ان يغلب عليها الطابع السياسي.

وقد عني هذا الجيل الناهض نفسه ايضا

بالصحافة، فأحسن ادارتها واغزر مادتها، وصحح عبارتها فقدم لقراء العربية اولى الصحف الحرة المستقلة. وكانت الصحافة العربية حتى سنة ١٨٥٨، إما رسمية كالوقائع المصرية ، او دينية تبشيرية، لا تصدر في مواقيت معينة، وكانت جميعها ركيكة العبارة فقيرة المادة.

وقد كانت الصحافة اللبنانية، منذ فجر ميلادها مع خليل جبرائيل الخوري سنة ١٨٥٨، وهي السنة التي



خليل الخوري

حديقة الأخبار

اصدر فيها جريدته «حديقة الاخبار» اهم منابر التعبير عن الثقافة العربية والاسلامية عامة، واهم وسائل الاعلام والتبليغ للشعوب العربية والغربية. كما كانت عرضا من اعراض الاحتكاك والتفتح الفكري في العالم العربي منذ سنة ١٨٥٨، وحتى يومنا هذا.

فالدوريات الثقافية والدينية التي اهتمت بالعلوم والفنون والآداب والدراسات والابحاث الدينية، اعتبرت مصدرا من اهم المصادر لرصد عملية التفاعل والتلاقح الفكري العربي الحديث، ومن هذه الدوريات: اخبار عن انتشار الإنجيل في العالم العربي اصدرها المرسلون

الاميركيون في بيروت سنة ١٨٦٣، ثم المشرق التي اصدرها الآباء اليسوعيون في بيروت سنة ١٨٩٨، والبشير سنة ١٨٧٠، والمنار سنة ١٨٩٨، والعرفان سنة ١٩١٠.

كما كان للصحافة دور كبير في بعث الحركة الفكرية والادبية والثقافية في لبنان والمشرق العربي، واول صحيفة سياسية ظهرت في بيروت، هي حديقة الاخبار التي أنشأها خليل الخوري واصدرها في اول كانون الثاني سنة ١٨٥٨، فكانت اول جريدة عربية صدرت برخصة رسمية من طرف الحكومة العثمانية خارجا عن عاصمة السلطنة. وهنا نورد الارادة السنية السلطانية بإنشاء الجريدة او ما يسمى باللغة التركية «البيورلدي» اي الرخصة.

«من اهالي بيروت ومن تبعه السلطنة السنية معرفتلو الخواجة خليل الخوري المنهي اليك: إنه بموجب المضبطة التي صار تقديمها المبنية على أستدعاك الدافع مقدماً لجانب الحكومة قد صار الامر والاشعار بموجب امرنامه ساميه من مقام الصدارة العظمى بأنه صار شرف صدور تعلق الارادة السنية بإعطاء الرخصة لك في طبع وتمثيل غزتة في بيروت باسم حديقة الاخبار على الشروط الآتي بيانها وهو أنه في يوم الجمعة من كل أسبوع، يصير اخراج غزتة وتباع سنويا بماية وعشرين غرشا واذا اقتضى منعها بالمستقبل لا تصير مطالبة بأدنى مصاريف وغيرها، وفي كل اسبوع قبل الطبع بأول الامر ارادة نسخة تلك الغزتة او تسويدها لجانب الحكومة والاشياء التي يصير نشرها تكون عبارة عن المواد الموجبة الفوايد الانسانية نظير المدينة والفنون والصنايع والمعارف والتجارة ولا تتضمن ادنى شيء ضد الحكومة ولا ما يخالف الآداب مطلقا والذي يطبع منها في كل اسبوع يعطى منه ثلاث نسخات لجانب الحكومة لكي ترسل الى مجلس المعارف لأجل المعاينة فبناء على ذلك قد اعطى الرخصة بموجب الارادة العلية في طبع وتمثيل الغزتة المذكورة بحيث تكون موافقة للشروط المحررة اعلاه وخلوا من وقوع ادنى حركة مغايرة للنظام».

واولى الجرائد الاسلامية في مدينة بيروت كانت ثمرات الفنون: وهي صحيفة اسبوعية سياسية علمية ادبية انشأ تها «جمعية الفنون المؤلفة من بعض ادباء المسلمين واعيانهم برئاسة الحاج سعد ابن السيد عبد الفتاح حمادة، وفوضت ادارتها لصاحب امتيازها السيد عبد القادر قباني احد اعضاء الجمعية المذكورة. وهي اولى الجرائد الاسلامية في بيروت وثانيتها في السلطنة العثمانية بعد «الجوائب» في الآستانة، وكانت ثمرات الفنون في بداية عهدها شركة مساهمة تتألف من اثني عشر سهما وقيمة كل سهم الفان وخمسمائة غرش، وكانت باكورة الصحف العربية المساهمة. الا أن جمعية الفنون لم يكمل عمرها، فانتقل اسم الجريدة ومطبعتها الى صاحب الامتياز الذي جعل قبلته خدمة الأمة الاسلامية والجامعة العثمانية، وكثيرا ما افتتح الاكتتاب على صفحات جريدته في سبيل الإعانات الخيرية والوطنية.



عبد القادر قباني

وكان صدور العدد الاول من «ثمرات الفنون» في ٢٠ نيسان سنة ١٨٧٥، فتولى كتابتها الشيخ يوسف الاسير الازهري، والشيخ ابراهيم الاحدب، اسماعيل ذهني بك محاسبجي حكومة لبنان سابقا، وسامي قصيري، عوني اسحق، سليم بن عباس الشلفون، اسكندر طراد، الشيخ احمد حسن طبارة، الحاج محمد محمود الحبال وغيرهم.

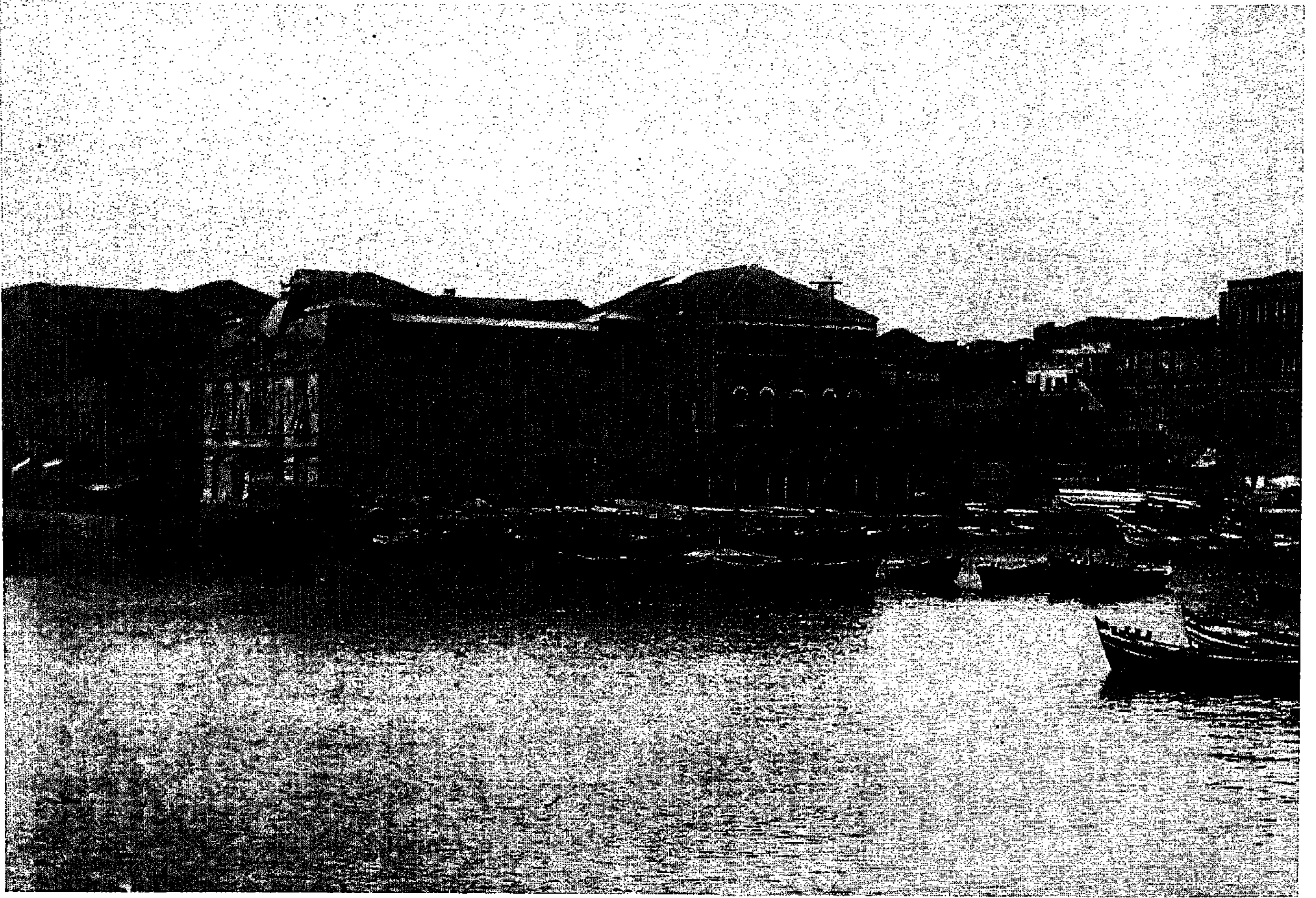
وفي شهر تشرين الثاني ١٨٨٩، كبر حجمها فصارت اعمدتها ١٦ بعد ان كانت ١٢ فقط، وفي ١٢ ايار سنة ١٨٩٩، جرى الاحتفال بيوبيلها الفضي، وفي تلك الاثناء صدرت بثماني صفحات، بعد أن كانت تصدر بأربع فقط. وكان للمسلمين ثقة عظيمة بهذه الصحيفة التي بقيت لسان حالهم مدة طويلة، لا سيما، بعد احتجاب الجوائب في الآستانة.

اهم الجرائد والمجلات التي ظهرت في مدينة بيروت منذ سنة ١٨٥١ حتى سنة ١٨٩١ نقل عن تاريخ الصحافة العربية لفيليب دي طرا

اسم الجريدة	صاحبها	تاريخ صدورها
حديقة الاخبار	خليل الخوري	١كانون الثاني سنة ١٨٥٨
نفير سوريا	بطرس البستاني	١كانون الثاني سنة ١٨٦٠
اخبار عن انتشار الانجيل	المرسلون الاميركيون	١اذار ١٨٦٣
النشرة الشهرية	الدكتور كرنيليوس فانديك	١كانون الثاني سنة ١٨٦٦
الزهرة	يوسف الشلفون	١كانون الثاني سنة١٨٧٠
المهماز	خليل عطية	٢٥ شباط سنة ١٨٧٠
الجنة	سليم البستاني	١١حزيران سنة ١٨٧٠
البشير	الأباء اليسوعيون	٣ايلول سنة ١٨٧٠
كوكب الصباح المنير	المرسلون الاميركيون	١كانون الثاني سنة ١٨٧١
النشرة الاسبوعية	المرسلون الاميركيون	١٠كانون الثاني سنة ١٨٧١
التقدم	يوسف الشلفون	١كانون الثاني سنة ١٨٧٤
ثمرات الفنون	عبد القادر قباني	٢٠ نيسان سنة ١٨٧٥
لسان الحال	خليل سركيس	١٨ تشرين الاول ١٨٧٧
المصباح	نقولا نقاش	١كانون الثاني سنة ١٨٨٠
الهدية	جمعية التعليم المسحيين الارثوذوكسية	١كانون الثاني سنة ١٨٨٣
بيروت	محمد رشيد الدنا	٢٢ آذار سنة ١٨٨٦
دليل بيروت	امين الخوري	١كانون الثاني سنة ١٨٨٨
بيروت الرسمية	علي باشا	٢٢ كانون الثاني سنة١٨٨٨
الفوائد	خليل البدوي	١ آذار سنة ١٨٨٩
الأحوال	خليل البدوي	١ تشرين الاول سنة ١٨٩١

اسم المجلة	صاحبها	تاريخ الصدور
مجموع فوائد	المرسلون الاميركيون	١كانون الثاني سنة ١٨٥١
اعمال الجمعية السورية	الجمعية السورية	٦كانون الثاني سنة١٨٥٢
الشركة الشهرية	يوسف الشلفون	١كانون الثاني سنة١٨٦٦
اعمال شركة مار منصور	ميخائيل فرج الله	١حزيران ١٨٦٧
مجموعة العلوم	الجمعية العلمية السورية	٥ ١كانون الثاني سنة١٦٦٨
المجمع الفاتيكاني	الآباء اليسوعيون	١كانون الثاني سنة ١٨٧٠
الجنان	بطرس البستاني	١كانون الثاني سنة ١٨٧٠
النحلة	القس لويس صابونجي	١١ايار ١٨٧٠
النجاح	القس لويس صابونجي ويوسف الشلفون	٩كانون الثاني سنة ١٨٧١
الطبيب	الدكتور جورج يوسف	١كانون الثاني سنة ١٨٧٤
المقتطف	يعقوب صروف وفارس نمر	١ حزيران ١٨٧٦
المشكاة	خليل سركيس	١ نيسان ١٨٧٨
سلسلة الفكاهات	نخلة قلفاط	١ تشرين الثاني ١٨٨٤
ديوان الفكاهة	سليم شحاده وسليم طراد	١كانون الثاني سنة ١٨٨٥
الصفا	علي ناصر الدين	١كانون الثاني سنة١٨٨٦
الكنيسة الكاثوليكية	خليل البدوي	١كانون الثاني سنة١٨٨٨

أما الوعي السياسي فقد بدأ بالظهور عندما اخذت بيروت تشهد تطورا اقتصاديا واجتماعيا وتلقى اهتمام الدوائر الغربية بها، وظهر هذا واضحا منذ اعلان النظام الاساسي لمتصرفية جبل لبنان سنة ١٨٦١، ومنذ ان كانت بيروت متصرفية تابعة لولاية سورية، فشهدت خلالها حركات مطلبية نادت بجعل بيروت مركزا تجاريا من الدرجة الاولى عبر توسيع مرفئها ونقل مركز الولاية اليها واحيانا اخرى بضمها الى متصرفية الجبل.



الحوض الغربي لمرفا بيروت

.وبالنظر الى فشل السلطنة العثمانية بإدخال الاصلاحات وبعض التنظيمات الى مراكز الولايات التابعة لها، وبعد ان سادت الفوضى وكثرت الرشاوى بين الموظفين ازدادت وتيرة المعارضة ، وكان للجمعيات السرية والصحافة البيروتية الدور الفعال في خوض هذا الصراع حتى اصبحت بيروت ولاية سنة ١٨٨٨، ازدادت بعدها عمليات المواجهة السرية والعلنية احيانا ضد سياسة التتريك العثمانية.

واستطاعت فئة من «المتنورين» ان تستوعب ثقافة الغرب وحضارته، مما اتاح منذ سنة ١٨٥٠، ظهور الجمعيات الادبية والعلمية والدينية التي مر ذكرها ثم بعدها الجمعيات السياسية.

وفي سنة ١٨٧٥، ظهرت جمعية بيروت السرية التي كان من ابرز اعضائها: ابراهيم الحوراني، ويعقوب صروف، وابراهيم اليازجي، وفارس نمر، وشاهين مكاريوس. وكان هدفها وجوب التحرر من الاتراك، وقد وزعت هذه الجمعية عددا من المناشير السرية والملصقات، واهم ما جاء في منشور ٣١ كانون الاول سنة ١٨٨٠، الذي رسم في اعلاه شعار يمثل سيفا مسلولا:

١. منح الاستقلال التام لسوريا متحدة مع اخواننا اللبنانيين (سكان متصرفية جبل لبنان).

٢. الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد

مع صيانة حرية الفكر والصحافة والعمل.

٣ـ استخدام اهل البلد في المهام العسكرية الداخلية، فهم وحدهم يعملون لخدمة الوطن لانقاذه من عبودية الترك.

ومن الملفت للنظر في هذه الاثناء، أن ظهور المنشورات المعادية للترك كانت ظاهرة تتكرر باستمرار في شوارع بيروت.

وفي اطار هذا التطور تحدثنا وثيقة معاصرة عن تحرك اسلامي في هذه الفترة كان على علاقة وثيقة بالتحركات التي مر ذكرها، تعود الى احد الوجوه البيروتية «منح الصلح» والتي نقلها ونشرها «عادل الصلح» تحت عنوان: «سطور من الرسالة» تاريخ حركة استقلالية قامت من المشرق العربي سنة ١٨٧٧.

الا أنه لم يمض على تأسيس هذه الجمعية او هذه الحركة اربع سنوات، حتى تغيرت الحال وذلك بعد سحب مدحت باشا من هذه البلاد. فقام بعض المفسدين يدسون على الجمعية بأنها جمعية سياسية تناوىء الحكومة.

وجدير بالملاحظة، أن الكلام الذي ورد على لسان احد مؤسسي الجمعية المذكورة، اكده قنصل فرنسا في بيروت في رسالة موجهة الى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ ١٨ ايلول سنة ١٨٨٢، حين قال: «دب الذعر في القسطنطينية بسبب مصادرة ٨٥ برميلاً من البارود كانت منقولة على متن مركب عثماني عائد الى شخص مسلم يدعى «سليم طربيه» كان قد اودع السجن...» وعلى اثر هذه الحادثة، قام جمع من المسلمين في بيروت وعلى رأسهم ادارة العدلية بجهود مضنية لتبرئة المتهم غير أن تدخل الوالي حال دون ذلك.

المراجع

- فيليب حتي، لبنان في التاريخ - دار الثقافة

- فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين - دار الثقافة

- الأب لويس شيخو اليسوعي - بيروت تاريخها وآثارها

- نقولا زيادة - ابعاد التاريخ اللبناني الحديث معهد البحوث والدراسات العربية

- كمال سليمان الصليبي - تاريخ لبنان الحديث - دار النهار للنشر

- يوسف الحكيم - بيروت ولبنان في عهد آل عثمان - المكتبة الشرقية .

- عصام شبارو - تاريخ بيروت - دار مصباح الفكر

- اسد رستم - لبنان في عهد المتصرفية - دار النهار للنشر

- ابراهيم الاسود - ذخائر لبنان

يوسف ابراهيم يزبك - اوراق لبنانية - دار الرائد اللبناني

الأب جوليان اليسوعي - تاريخ الرهبنة اليسوعية

جهينة الايوبي - جمعية المقاصد الاسلامية - الجامعة الاميركية

- فؤاد افرام البستاني - تاريخ التعليم في لبنان -

محاضرات الندوة اللبنانية الجزء الرابع ١٩٥٠

- الحركات السياسية والرأي العام في بيروت - جرجس مخائيل جنوش

الجامعة اليسوعية

- محمد بهجت ومحمد رفيق ا النميمي - ولاية بيروت -

نوفل نوفل - كشف اللثام عن محبي الحكومة والحكام . الجامعة الاميركية - بيروت .

- يوسف مزهر - تاريخ لبنان العام

- بولس مسعد - دليل لبنان وسوريا - القاهرة سنة ١٩١٣

- سليم علي سلام - مذكرات سليم علي سلام - تحقيق حسان حلاق

داود كنعان - بيروت في التاريخ

- حسن زعرور - تاريخ مدينة بيروت السياسي والاقتصادي منذ اعلان نظام الولايات المتحدة حتى بداية الحرب العالمية الأولى جامعة القديس يوسف

- بطرس البستاني - الجنان

- عبدو سلام الخالدي - جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين - دار النهار للنشر

- جورج انطونيوس - يقظة العرب - دار العلم للملايين

- يوسف اسعد داغر - قانون الصحافة اللبنانية - الجامعة اللبنانية

- عادل اسماعيل - اميل خوري - السياسة الدولية في الشرق العربي - دار النشر للسياسة والتاريخ.

- عبدالكريم غرابية - سوريا في القرن التاسع عشر

- احمد طربين - ازمة الحكم في لبنان سنة ١٨٤٢ - ١٨٦١ دمشق ١٩٦٦

- انيس صايغ - لبنان الطائفي بيروت ١٩٥٥

- خليل صابات - تاريخ الطباعة في الشرق العربي

- اسد رستم - الاحوال العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا - بيروت - فريد وفيليب الخازن - المحررات السياسية - ١٨٤٠ - ١٩١٠.

نحو الاستقلال

عندما تألفت الحكومة الرسمية في دمشق برئاسة على رضا الركابي، ارسلت شكري الايوبي حاكما عاما على بيروت، ثم توجه الى بعبدا واعلن دخول البلاد في حضرة الحكومة العربية، وامر برفع العلم العربي على دار الحكومة. وفي ٧ تشرين الاول سنة ١٩١٨، عين حبيب باشا السعد رئيساً للحكومة الجديدة مكان مالك شهاب وعادل إرسلان، فأقسم يمين الولاء للملك حسين والحكومة العربية. وفي ٧ تشرين الاول سنة ١٩١٧، نزلت قوات من الجيش الفرنسي في بيروت، وفي اليوم التالي، دخل الجنرال اللنبي المدينة، على رأس جيشه، ترافقه كتيبة فرنسية بقيادة الكولونيل دين بييباب، فأصدر اوامره الى شكري الايوبي بمغادرة المدينة، ثم انزل العلم العربي عن المباني العامة، وسلم عمر الداعوق سلطاته الى الكولونيل دين بييباب الذي اصبح الحاكم العسكري في البلاد.

اما المجلس الاداري في بعبدا، فسمح له بالبقاء كهيئة وطنية حاكمة في جبل لبنان واعتبر أن اعلان ولائه للحكومة الفيصلية في دمشق لم يكن إلا تدبيراً مؤقتاً. وفي نهاية تشرين الاول سنة ١٩١٨، احتل الحلفاء مدينة طرابلس وكان الجنرال اللنبي عندئذ قد وضع الخطوط الكبرى للحكم العسكري في سوريا، فاعتبرت البلاد اراضي العدو المحتلة الى حين عقد الصلح مع تركيا.

وفي ٨ تشرين الثاني ١٩١٨، وقع اتفاق بين الفرنسيين والانكليز ،وهذا الاتفاق يقضي بأن تحصر السلطة العليا السياسية والعسكرية بيد الجنرال اللنبي، على ان يلتحق به مندوب سامي فرنسي، بدرجة مستشار سياسي خاص، لإدارة شؤون المنطقة الزرقاء، ويحق لهذا المستشار بمقتضى هذا الاتفاق

إنشاء ادارة في المنطقة الساحلية وتعيين الموظفين اللازمين، وقد اسندت وظيفة المستشار الى السيد جورج بيكو، المندوب السامي الفرنسي في الشرق.

وفي ٧ آذار سنة ١٩٢٠، اجتمع المؤتمر السوري وقرر استقلال سوريا بحدودها الطبيعية واعلان فيصل ملكاً عليها. وفي ٨ آذار نادى المؤتمر ملكاً باسم فيصل الاول.

وفي ٢٦ نيسان سنة ١٩٢٠، عقدت انكلترا وفرنسا وايطاليا واليابان مؤتمر سان ريمو في شمال ايطاليا، للبحث في مصير الامبراطورية العثمانية. وقد تم الاتفاق في هذا المؤتمر على وضع معظم البلدان العربية، التي كانت خاضعة للدولة العثمانية تحت الانتداب البريطاني والفرنسي بالتساوي. فنالت فرنسا الانتداب على سوريا ولبنان، وبريطانيا على العراق وفلسطين.

وبعد أن أقر مؤتمر سان ريمو الانتداب لفرنسا على سوريا ولبنان، أقر ايضا، بأن للبنان كياناً منفصلاً عن سوريا التاريخية. وعلى اثر هذا القرار اصدر الجنرال غورو مرسوماً بضم بيروت ومدن طرابلس وصيدا وصور والبقاع وملحقاتهم الى متصرفية جبل لبنان وجعلها جميعاً دولة واحدة باسم دولة لبنان الكبير.

وفي الفترة الواقعة ما بين ١٩٢٠و١٩٢٦، حكم لبنان حكماً مباشراً من قبل الفرنسيين، وعين عليه ثلاثة مفوضين عسكريين هم الجنرال غورو والجنرال ويغان والجنرال ساراي. وكانت السلطة في ايدي الفرنسيين الذين يحكمون البلاد حكما مباشراً، وكانت الصلاحيات التي تعطى الى الحكومة الوطنية اقل بكثير من الصلاحيات التي كانت تتمتع بها الحكومة الوطنية في العهد الذي سبق الانتداب.

وفي سنة ١٩٢٦، تم وضع دستور للبنان ارسى الحياة السياسية على اسس ثابتة، ولكن هذا الدستور تجنب تحديد مبادىء الزامية للتعاون بين مختلف الطوائف، بل آثر ان يترك المجال مفتوحاً للأخذ والعطاء.

وفي ٢٦ ايار سنة ١٩٢٦، اجتمع مجلس الشيوخ والنواب وانتخب شارل دباس اول رئيس دستوري للجمهورية اللبنانية وقد كان لبنان اول جمهورية في العالم العربي.

وبسبب الصلاحيات الواسعة الممنوحة للمفوض السامي بموجب الدستور، والتي تسمح له نقض جميع القوانين التشريعية الاساسية التي لا يوافق عليها، الى جانب حقه في حل المجلس النيابي وتعليق العمل بالدستور. فقد بقيت الحياة الدستورية تتأرجح بين التعليق والعمل بها حتى سنة ١٩٤٣، الى ان ألغي نظام الانتداب نهائياً.

وفي نهاية عام ١٩٤٣، كانت بداية الحياة الاستقلالية حيث كان الميثاق الوطني الذي ثبّت قيام الدستور والحياة العامة على مراعاة العصبيات الطائفية في شؤون لبنان كافة.

وفي الفترة الواقعة بين ٢٥ آذار ونهاية سنة ١٩٤٦، تسلمت الحكومة اللبنانية جميع ما كان باقيا في يد الفرنسيين: السراي الكبير - محطة الاذاعة - اقفال المحاكم المختلطة. وفي ٣١ كانون الاول، تمت عمليات جلاء آخر الجيوش الفرنسية عن الاراضي اللبنانية.



المدرسة الأهلية (١٩١٠)



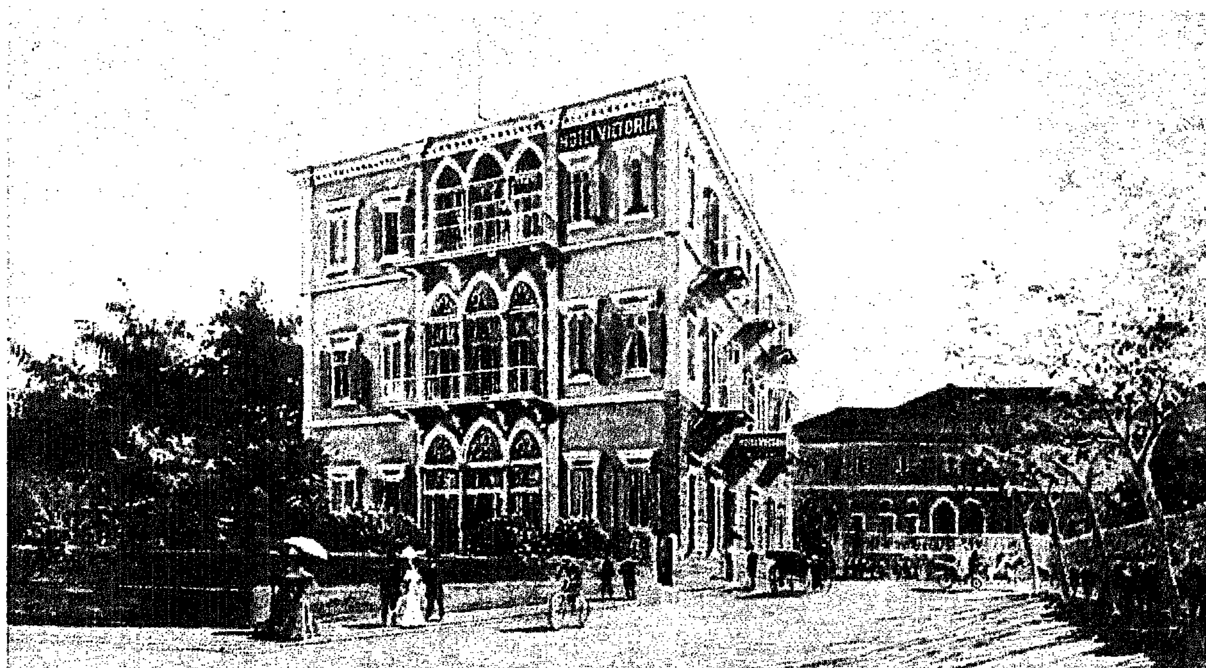
دير مار الياس ١٩٣٥



ميناء الحصن (١٩١٠)



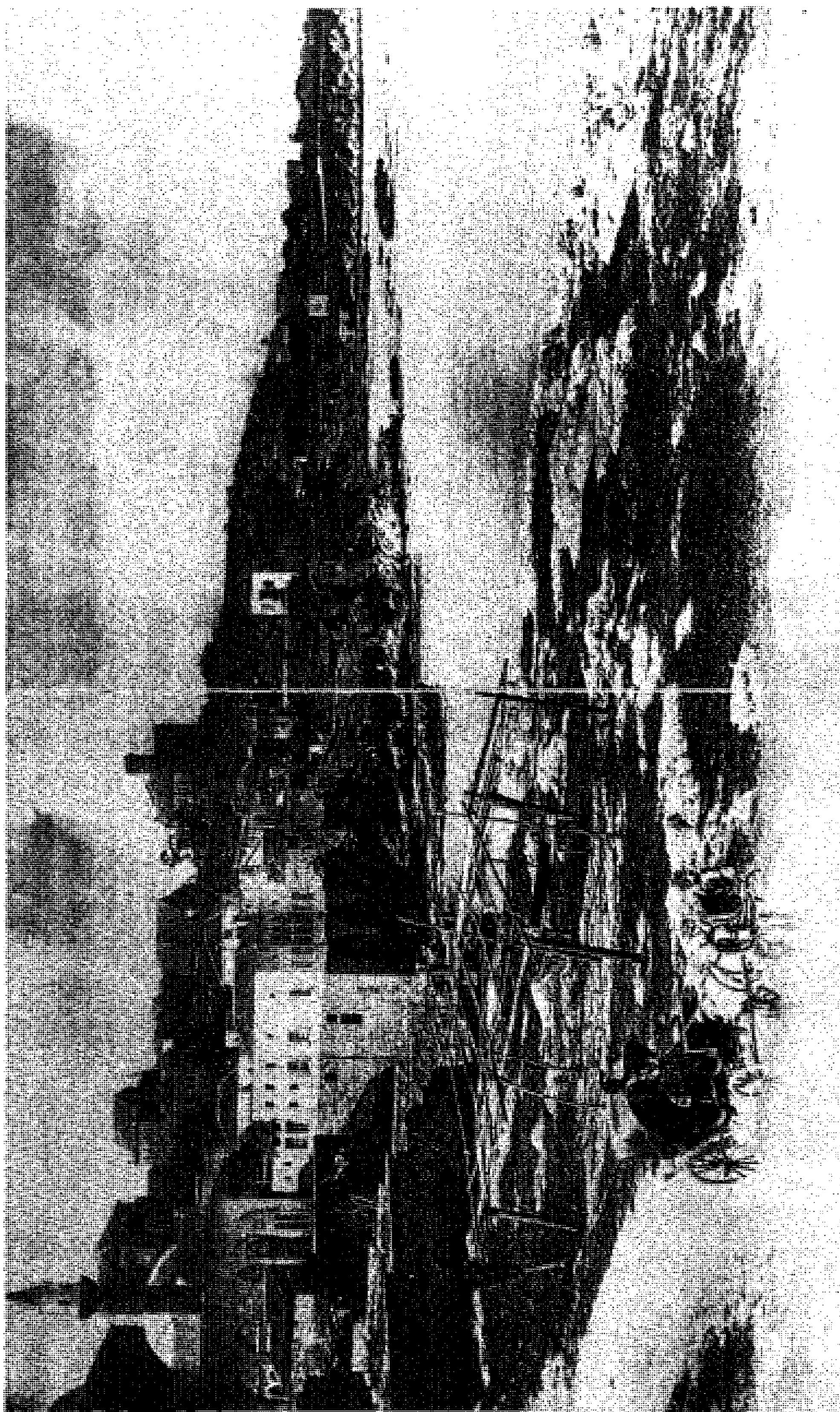
مقهى بيروتي في الهواء الطلق (١٩٠٠)



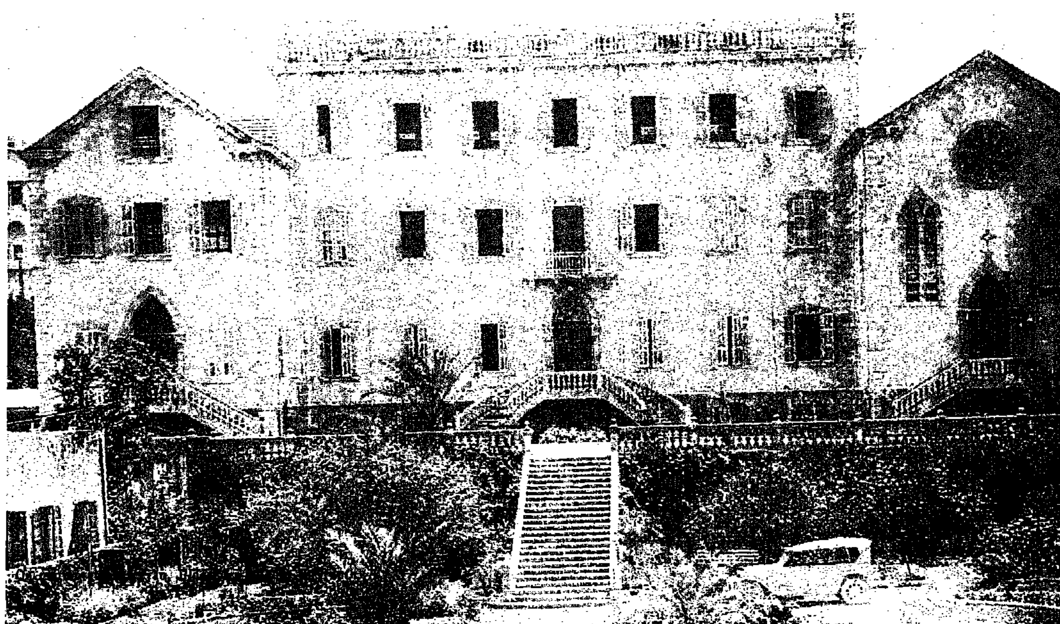
اوتيل فيكتوريا



فندق الشرق الكبير، أوتيل بسول



عين المريسة وخلفه مبنى الكلية الإنجيلية السورية ١٨٩٠



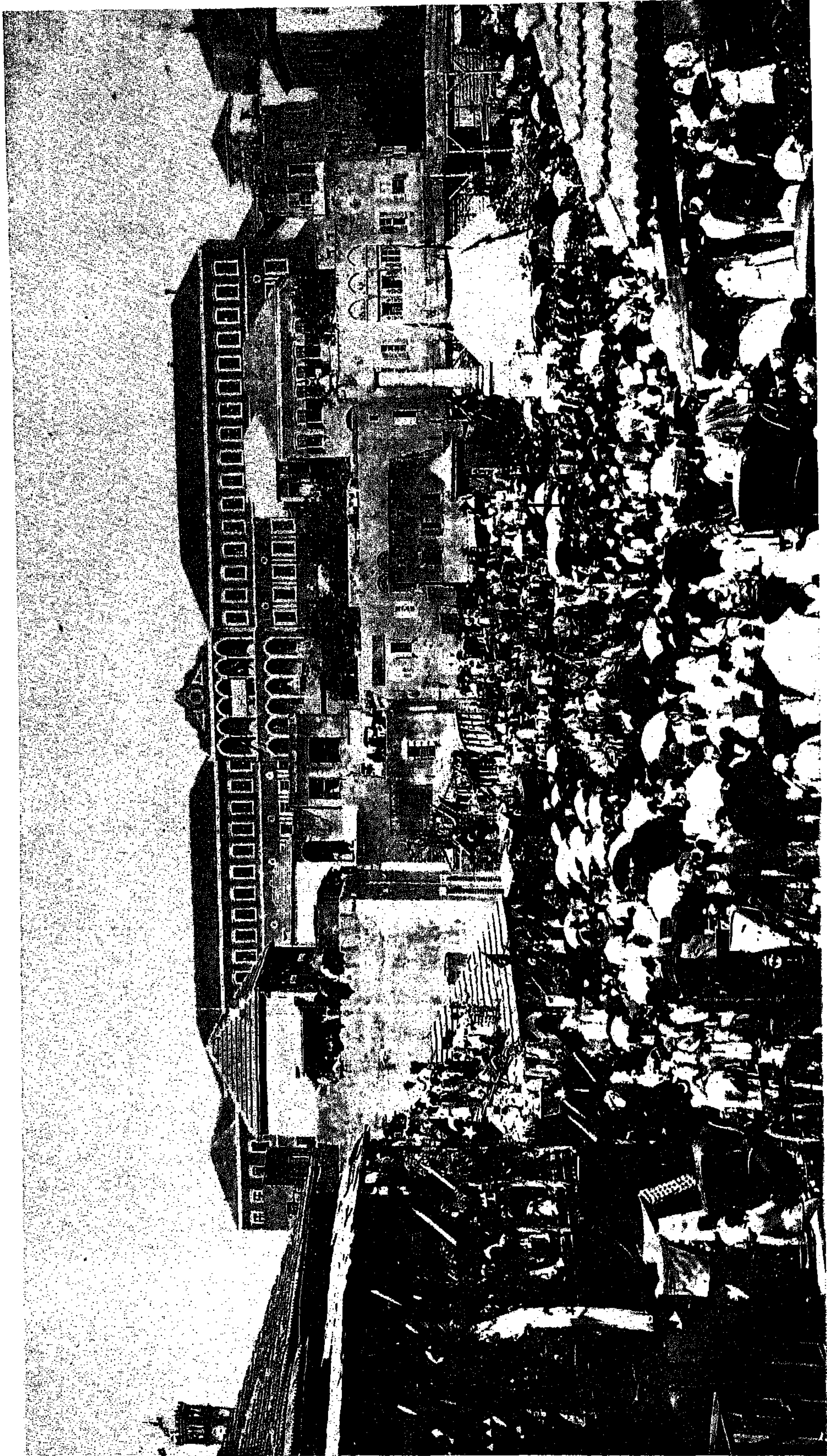
مدرسة راهبات البزنسون ١٩٢٥



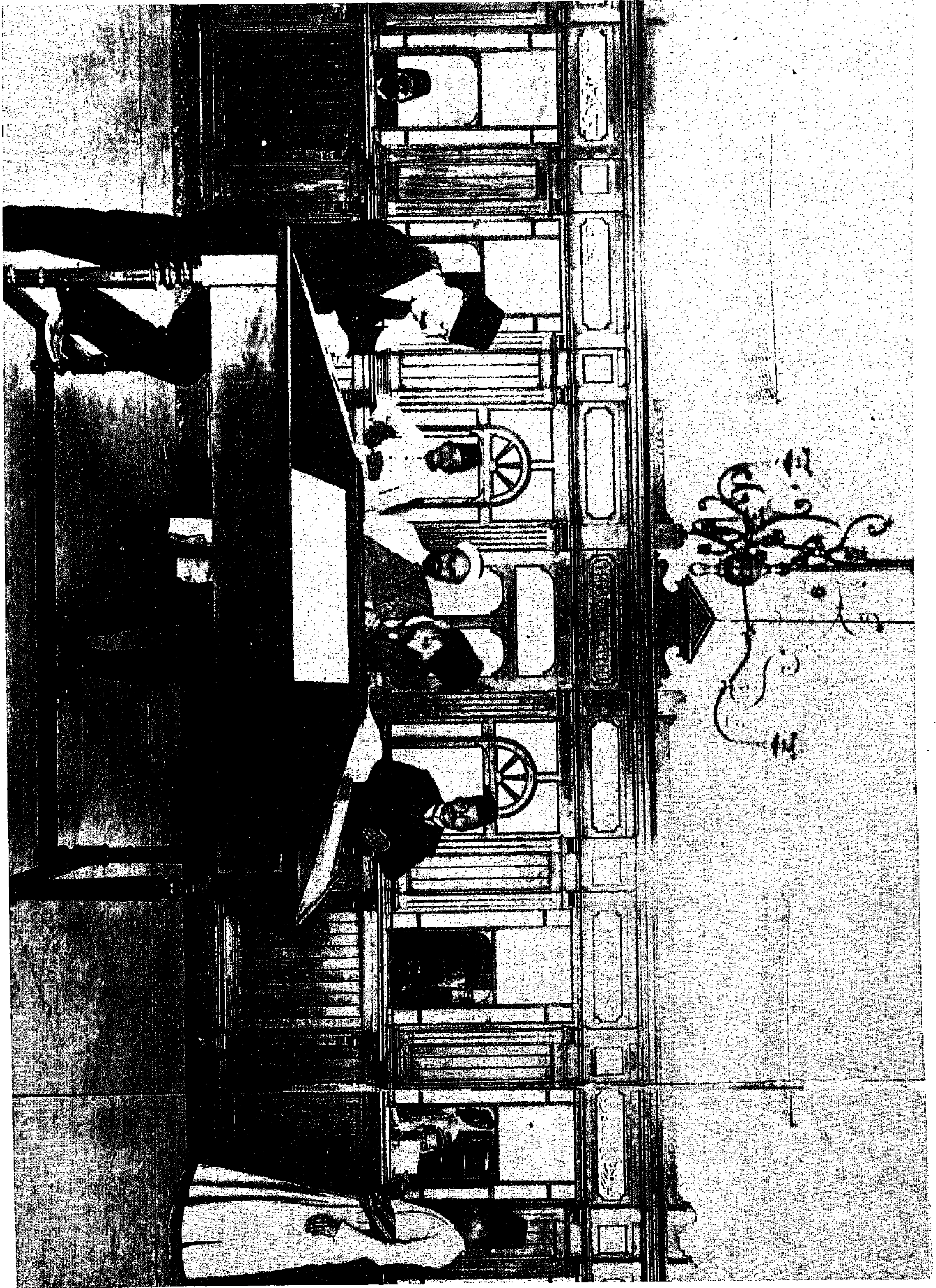
أحد شوارع بيروت ١٩٠٥



ترومواي في شارع ويغان



سبيل الحميدية، وتجمع حول السبيل ١٩٠٠



داخل مبنى البريد العثماني ١٩٠٥

المراجع
بيروت التراث الثقافي

- فيليب حتي - لبنان في التاريخ - دار الثقافة.

- فيليب حتي - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين دار الثقافة.

- الأب لويس شيخو اليسوعي - بيروت تاريخها وآثارها

- نقولا زيادة - ابعاد التاريخ اللبناني الحديث - معهد البحوث والدراسات العربية.

- كمال سليمان الصليبي - تاريخ لبنان الحديث - دار النهار للنشر.

- يوسف الحكيم - بيروت ولبنان في عهد آل عثمان - المكتبة الشرقية.

- عصام شبارو - تاريخ بيروت - دار مصباح الفكر.

- اسد رستم - لبنان في عهد المتصرفية - دار النهار للنشر.

- ابرهيم الاسود - ذخائر لبنان

- يوسف ابراهيم يزبك - اوراق لبنانية - دار الرائد اللبناني.

الأب جوليان اليسوعي - تاريخ الرهبنة اليسوعسة

- جهينة الايوبي - جمعية المقاصد الاسلامية - الجامعة الأميركية.

- فؤآد افرام البستاني - تاريخ التعليم في لبنان - محاضرات الندروة اللبنانية الجزء الرابع سنة ١٩٥٠

- الحركات السياسية والرأي العام في بيروت - جرجس مخائيل حنوش - الجامعة اليسوعسة.

- محمد بهجب ومحمد رفيق التميمي - ولاية بيروت

نوفل نوفل - كشف اللثام عن محي الحكومة والحكام - الجامعة الأميركية - بيروت يوسف مزهر تاريخ لبنان وسوريا القاهرة ١٩١٣

– سليم على سلام - مذكرات سليم علي سلام - تحقيق حسان حلاق

- داود كنعان - بيروت في التاريخ

- حسن زعرور - تاريخ مدينة بيروت السياسية والاقتصادي منذ اعلان نظام الولايات المتحدة حتى بداية الحرب العالمية الاولى - جامعة القديس يوسف.

- بطرس البساتاني - الحنان.

- عبده سلام الخالدي: جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين - دار النهار للنشر.

- جورج انطونيوس - يقــظة العرب - دار العلم للملايين

- يوسف اسعد داغر - قانون الصحافة اللبنانية - الجامعة اللبنانية.

- عادل اسماعيل - اميل خوري - السياسة الدوليةفي لاشرق العربي - دار النشر للسياسة والتاريخ

- عبد الكريم غرابية - سوريا في القرن التاسع عشر.

- احمد طربين - ازمة الحكم في لبنان ١٨٤٢-١٨٦١ - دمشق ١٩٦٦

- انيس صايغ - لبنان الطائفي بيروت ١٩٥٥

- خليل صابات - تاريخ الطباعة في الشرق العربي.

- اسد رستم - الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا بيروت.

- فريد وفيليب الخازن - مجموع المحررات السياسة من ١٨٤٠ - ١٩١٠.

الفهرس

ـ المقدمة ٥

ـ مدخل : التراث والتواصل الحضاري ٧

ـ بيروت في التاريخ ١١

ـ التراث الروحي لمدينة بيروت ٢٥

ـ المعالم والآثار الروحية في مدينة بيروت ٣٥

ـ التاريخ الثقافي لمدينة بيروت منذ مطلع القرن التاسع عشر

● المدارس والجامعات ٥٥

● الحياة الفكرية ٧٥

ـ نحو الاستقلال ٩١

ـ المراجع ١٠٥